

جامعة ملحد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



مذكرة ماستر

العلوم الإنسانية
التاريخ
تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
رقم:

إعداد الطالبة:

سعاد شرون

يوم: 11/ 06/ 2024

تقنيات الري خلال العهد الزياني (633-962هـ / 1235-1554م)

لجنة المناقشة:

رئيس	جامعة محمد خيضر- بسكرة -	أ. مح أ	سالم كروعة
مقرر	جامعة محمد خيضر- بسكرة -	أ. مح أ	مبروك بن مسعود
مناقش	جامعة محمد خيضر- بسكرة -	أ. مح أ	جهينة بوخليفة قويدر

السنة الجامعية: 2023-2024

الشكر والتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بفائق الشكر والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور

" بن مسعود مبروك " على قبوله الإشراف على عملي هذا، وعلى كل المساعدات التي قدمها لي من صغيرة وكبيرة وتحمله معي كل الصعوبات وكذلك كل توجيهاته طيلة هذا البحث.

كما أخص بالشكر كل أساتذة قسم التاريخ جامعة محمد خيضر بسكرة.

كذلك أتقدم بخالص الشكر لزملائي وزميلاتي في القسم كلٌ باسمه على ذلك التواصل الحسن الذي كان فيما بيننا خدمة للعلم والمعرفة وتجاوزا صعوبات الحياة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأختي فتحية وخديجة على رعايتهما لي وتربيتهما ومصاحبتهما لي.

بالإضافة إلى ابن أختي الغالي زكرياء شرون الذي له جزيل الشكر على دعمه لي في مشواري الجامعي،

دون أن أنسى صديقاتي، وخاصة، حميدة، أمينة، مونية، آمال، رميساء، ياسمين، رحاب، خديجة ، شيماء، رحمة، منى، دنيا، فاطمة، سهيلة، مروى، على دعمهم لي ووقوفهم معي في أصعب المواقف فلهم مني جزيل الشكر.

الإهداء

{ دَعُوهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُ دَعْوِيَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

سورة يونس، الآية 10، برواية ورش عن نافع.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي ما تم جهد ولا ختم سعي إلا بفضلته وما تخطى العبد من عقبات وصعوبات إلا بتوفيقه ومعونته، فاللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني.

والحمد لله على حسن التمام والختام.

أما بعد أهدي عملي هذا إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من علمني العطاء بدون انتظار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يرحمه ويتقبله مع الشهداء، ستبقى كلماتك نجوم أهدي بها، إلى والدي الغالي . رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

إلى سندي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان، إلى بسمة الحياة والوجود، التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي، إلى أمي الحبيبة أطال الله في عمرها ومدّها بالصحة والعافية.

وإلى كل إخوتي (لحسن، عمار، عبد الرزاق، فريد، محمد، ضرار، وآخر العنقود منصور الغالي).

إلى كل أخواتي (ليلي، يمينة، فتيحة، خديجة)، وكذلك زوجات إخوتي وإلى جميع أبناء إخوتي وأخواتي.

قائمة المختصرات

المختصر	اللفظ الكامل
د . س	دون سنة نشر
د . ب	دون بلد نشر
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
مج	المجلد
ج	الجزء
ع	العدد
ط	الطبعة
ص	الصفحة
ص.ص	صفحات متتالية

مقدمة

الماء سر الحياة، بل هو الحياة نفسها، لقول الله تعالى: { أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }¹.

يعتبر الماء من العناصر الأساسية التي من خلالها يتم اختطاط المدن، فالمتعارف عليه عبر العصور أن أغلب الحضارات قامت على ضفاف الأنهار والأودية، كالحضارة المصرية وحضارة بلاد الرافدين، كما أن الدول التي قامت شرقا وغربا اتخذت من الماء عنصرا أساسيا لإقامتها وتوطين نفسها، فمثلا الدول التي قامت في بلاد المغرب الأوسط أخذت من تواجد الماء عاملا رئيسيا في قيامها، كالدولة الرستمية، الحمادية والزيرية، هذه الأخيرة عملت على تطوير تقنيات الري ووسائله من صهاريج ومواجل ونواعير، ومختلف المنشآت المائية الأخرى، وهذا من أجل توفير عنصر الماء طوال السنة، حتى في مواسم الجفاف، وأثناء قلة التساقط، من هذه المنطلقات جاء موضوع مذكرتنا الموسومة ب: تقنيات الري خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م).

أسباب اختيار الموضوع :

إن اختيار الموضوع يرجع إلى عدة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، ومنها:

✓ أسباب ذاتية:

✓ الرغبة الشخصية في التعرف على الطرق التي اعتمدها سكان بلاد المغرب الأوسط في سقاية أراضيهم.

✓ الابتعاد عن المواضيع التي تتحدث عن الجانب السياسي نظرا لاهتمام غالب الباحثين بها.

✓ توسيع الزاد المعرفي وخصوصا مايتعلق بمنطقة المغرب الأوسط.

✓ أسباب موضوعية:

✓ اعتبار العهد الزياني جزء لا يتجزأ من تاريخ المغرب الأوسط خاصة، والغرب الإسلامي عامة.

✓ العمل على التنقيب حول الحياة الاقتصادية في تلك الفترة.

✓ التعرف على مساهمة تطور تقنيات الري في زيادة كميات الإنتاج الزراعي.

¹ سورة الأنبياء، الآية 30، برواية ورش عن نافع.

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية الموضوع في كونه جزئية مهمة في التاريخ الاقتصادي للمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، حيث تعتبر سقاية الأرض وطرق استغلال المياه، ذات الأثر البالغ في كمية الإنتاج الزراعي والذي بدوره يؤثر على التطور الاقتصادي للبلاد خلال العهد الزياني.

أهداف دراسة الموضوع :

تهدف دراستي لهذا الموضوع إلى التعرف على:

- ✓ الإطار الجغرافي والتاريخي للدولة الزيانية.
- ✓ الري وأهميته في الحياة.
- ✓ إبراز أهم مصادر المياه خلال العهد الزياني.
- ✓ بيان الضوابط الشرعية والعرفية التي قسمت الموارد المائية خلال العهد الزياني.
- ✓ توضيح الإستراتيجيات المستعملة في تقاسم حصة سقاية الأراضي.
- ✓ إبراز أهم منشآت توزيع وتخزين ورفع المياه.

الإشكالية:

ركز الكثير من الباحثين في دراستهم على الجانب السياسي، أما بالنسبة للجانب الاقتصادي حتى وإن وجدت، فهي تبقى غير كافية وقليلة، وخصوصا الزراعة، ونظرا لما لهذه الأخيرة من أهمية في تطوير الحياة الاقتصادية حاولنا تسليط الضوء على الماء، الذي بدوره عامل رئيسي في تطوير الزراعة ومن هذه المنطلقات يمكننا طرح الإشكالية التالية: ما هي أهم تقنيات الري التي استعملها المزارعون خلال العهد الزياني (633 . 962هـ/1235 . 1554م) ؟

الأسئلة الجزئية:

وتتدرج تحت الإشكالية الرئيسية مجموعة من الأسئلة الفرعية تمثلت في :

- ✓ ما هو الامتداد الجغرافي للمغرب الأوسط ؟
- ✓ كيف كانت تتوزع مصادر المياه في المغرب الأوسط؟
- ✓ ما المقصود بالري وما أهميته ؟

✓ ماهي منشآت توزيع وتخزين ورفع المياه خلال العهد الزباني؟

خطة البحث:

وللإجابة عن الإشكالية والأسئلة الفرعية اعتمدنا على الخطة التالية :

شملت تمهيدا لأهمية الماء في الحياة، كما تطرقنا إلى ذكر أسباب اختيار هذا الموضوع، ثم أهمية وأهداف الدراسة، بالإضافة إلى طرح الإشكالية الرئيسية وأسئلتها الفرعية، المنهج المتعمد، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة، وفي ختام مقدمتنا قمنا بذكر بعض الصعوبات التي واجهتنا خلال عملنا هذا.

ومن ثم قمنا بتقسيم العمل إلى **مدخل تمهيدي** وفصلين، وقد كان المدخل تحت عنوان: **نظرة عامة حول الدولة الزبانية**، وقسمته إلى عنصرين أولهم الإطار الجغرافي للدولة الزبانية وأما الثاني فتناولت فيه الإطار التاريخي للدولة، أما **الفصل الأول** فقد كان عنوانه: **مصادر المياه وضوابطه الشرعية والعرفية خلال العهد الزباني**، والذي قسمته إلى ثلاثة عناصر، الأول تطرقنا فيه لتعريف الري لغة واصطلاحاً، والثاني إلى مصادر الري خلال العهد الزباني، أما الثالث فتناولت فيه الضوابط الشرعية والعرفية التي قسمت الموارد المائية خلال العهد الزباني، وبالنسبة **للفصل الثاني** فقد كان عنوانه: **منشآت السقاية خلال العهد الزباني**، يندرج تحته ثلاثة عناصر، الأول تناولت فيه منشآت تخزين المياه من سدود وصهاريج وموآجل، وأما العنصر الثاني فخصصته لوسائل توزيع المياه من سواقي وفقارات وقنوات وبخصوص الجزء الثالث فتناول أدوات رفع الماء من نواعير ودواليب وسواني، وقد أنهيت موضوع البحث **بخاتمة**، وهي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات، بالإضافة إلى مجموعة من **الملاحق** خدمة للموضوع.

المنهج المعتمد:

لقد اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي، حيث أن المنهج التاريخي تتبعت من خلاله تطور طرق الري تاريخياً، أما الوصفي فمن خلاله قمت بوصف للمنشآت المعتمدة خلال العهد الزباني من توزيع ورفع وتخزين المياه، معتمدة في ذلك على مجموعة من المصادر الواصفة لهذه المنشآت.

عرض لأهم المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر:

• كتب الرحلة والجغرافيا :

1. كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي (ت. 367هـ / 977م)، زار المنطقة و دون كل تفاصيلها، وتحدث عن كل المناطق المتواجدة بها وقسم المنطقة إلى أقاليم مع ذكره لخصوصية كل إقليم وما يميزه، وقد أفادني هو أيضا في معرفة الحدود الجغرافية، وكذلك مصادر المياه، بالإضافة لوصف بعض منشآت السقاية.
2. كتاب المغرب في ذكر بلد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك للبكري (ت. 487 هـ / 1094م)، فيه وصف كل مدن المنطقة بكل تفاصيلها، وقد استفدت منه أيضا في مسح موارد المياه، وكذلك في جغرافية المنطقة، إضافة إلى منشآت المياه، ودور السلطة واهتمامها بموضوع المياه.
3. كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي (ت. 560هـ/1164م)، ويعتبر من المصادر الهامة في تاريخ المغرب الأوسط، حيث أدرج فيه كل التفاصيل الجغرافية للمنطقة، وقد أفادني كذلك في حدود المنطقة وأيضا مصادر المياه وخصوصا ذكر الأنهار والأودية، وكذلك المنشآت المائية.
4. كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول: عاش في القرن السادس الهجري، ولهذا المؤلف تشابه كبير مع مؤلف البكري، حيث استفدت، وبصفة خاصة المنشآت.
5. كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، (توفي أواخر القرن التاسع الهجري)، وصف كتابه جغرافية المناطق التي زارها، وقد استفدت منه كثيرا، لأنه رتب المناطق ترتيبا هجائيا مما سهل علينا عملية البحث والانتقاء، ومن بين الأمور التي أفادني بها هي نفس العناصر التي تناولتها المصادر السابقة.
6. كتاب وصف إفريقيا للحسن الوزان (كان حيا 957هـ/1552هـ)، يعطينا وصفا عاما لمنطقة الغرب الإسلامي، حيث تكلم فيه عن أكل ولباس وعادات وتقاليد سكان المنطقة، بالإضافة إلى الأقاليم والمحاصيل والحيوانات المتواجدة بها، وقد أفادني، استفدت منه من نفس العناصر التي تناولتها المصادر السابقة.

• كتب التاريخ العام:

1. كتاب تاريخ الدولة الزيانية لابن الأحمر (ت. 807هـ/1404)، إذ يعد من أهم المصادر التاريخية التي تذكر تاريخ الدولة الزيانية، حيث استطاع صاحبه بتعريف السلاطين الزيانيين وانجازاتهم وكذلك حتى وصفهم من حيث الشكل والتفكير، وقد أفادني هذا المؤلف كثيرا في أجزاء عدة من هذا العمل وخاصة التعرف على المراحل التي مرت بها الدولة الزيانية وأهم الشخصيات التي حكمتها ضيف إلى ذلك أسباب سقوط هذه الدولة.
2. كتاب العبر وديوان المبتدأ والحبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لعبد الرحمن بن خلدون (ت. 808هـ/1405م)، يعد من أهم المصادر التاريخية، حيث استطاع صاحبه الإمام بأحداث تاريخية مختلفة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، وذكر فيه كل القبائل التي سكنت العالم منذ بداية الخلق حتى عصره، وقد أفادني كثيرا في العديد من المواضيع من مصادر المياه وجغرافية المنطقة ومنشآت المياه.

• كتب الفقه والنوازل :

1. كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي (ت. 914هـ/1508م)، قسمه صاحبه إلى ثلاثة عشر باب، وقد أفادني في معرفة الفتاوى التي كانت من أجل توزيع حصص السقاية بين سكان المنطقة.

ثانيا: المراجع والدراسات الحديثة:

1. عبد العزيز فيلاي: بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، عبارة عن كتاب تكلم فيه على الدول التي تعاقبت على حكم الجزائر في العصر الوسيط، وتطرق فيه للجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة، وقد أفادني في تعريف الري أهميته، بالإضافة إلى ذكر بعض النزاعات في المنطقة.
2. باسيليو بابون مالدونارو: العمارة الأندلسية عمارة المياه، ترجمة: علي إبراهيم علي، وهو عبارة عن مؤلف ذكر فيه العديد من المنشآت المائية في بلاد الأندلس، وقد استندت منه في تعريف بعض المنشآت المائية التي كانت منتشرة خلال العهد الزياني كالصهاريج والمواجل وغيرها من المنشآت.

3. عبد الرحمان بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، وهو عبارة عن مؤلف تحدث فيه عن تاريخ الجزائر من كل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، إضافة للسياسية، ناهيك عن الحدود الجغرافية، وقد استفدت منه أيضا في معرفة بعض مصادر المياه خلال العهد الزياني.

الصعوبات:

لا يخلو أي بحث من صعوبات تحول دون إتمامه، حيث واجهتني مجموعة من الصعوبات حتى وإن كانت قليلة يمكن إيجازها فيما يلي:

- ✓ عدم استقرار الحدود الجغرافية خلال العهد الزياني، حيث كانت تتمدد وتتقلص مع تغير المعطيات السياسية.
- ✓ قلة المراجع التي تخدم الموضوع، وحتى وإن وُجدت فهي إشارات بسيطة، بالإضافة إلى تشابه المعلومات في المراجع، وغالبا ما اعتمدت على المصادر نفسها.
- ✓ عدم توفر صور توضيحية لبعض المنشآت المائية، وكذلك عدم الإشارة لها في بعض المصادر.

مدخل تمهيدي:

نظرة عامة حول الدولة الزيانية

(633-962هـ/1235-1554م)

أولاً: الإطار الجغرافي

ثانياً: الإطار التاريخي

أولاً: الإطار الجغرافي للدولة الزيانية:

إن تحدثنا عن الدولة الزيانية يمكن أن نعتبرها قد حكمت كل ربوع بلاد المغرب الأوسط، علماً أنها كانت تمتد وتتقلص حسب الظروف السياسية، والجدير بالذكر أنه إذا كان المغرب الأوسط المجال الجغرافي للدولة الزيانية فإن هناك اختلافات حول جغرافيته، سنحاول في هذا الجزء عرض الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط:

يؤكد البكري (ت. 487هـ/1094م)، أن مدينة تلمسان هي قاعدة المغرب الأوسط، حيث ذكر أن لها أسواقاً ومساجداً ومسجد جامع وأنهار عليها الطواحين، وهي دار مملكة زناتة وموسطة قبائل البربر ومقصد للتجار¹.

أما الإدريسي (ت. 560هـ/1164م)، فيذكر أن مدينة بجاية وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة².

في حين يذكر صاحب "الاستبصار" أن المغرب الأوسط فيه مدن كثيرة، وقاعدتها مدينة تلمسان، وحده من وادي مجمع وهو نصف الطريق بين مليانة وتلمسان في الطول، وفي العرض من البحر الذي على الساحل إلى مدينة تنزل، وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة³. وعن أبو الفداء (ت. 732هـ/1331م)، في كتابه "تقويم البلدان" قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام، القسم الثاني يعرف بالمغرب الأوسط وهو من شرق وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شريقها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق⁴.

أما ابن خلدون (ت. 808هـ/1418م)، فيذكر أن المغرب الأوسط هو بلد زناتة التي تستقر في الإقليم الذي يقع ما بين الزاب⁵ شرقاً ونهر ملوية غرباً، وهو الوادي الذي عرف قديماً بملوشة، وأن المنطقة

¹ البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، (د.س)، ص.ص. 77-76.

² الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص 260.

³ مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء المغرب، 1945م، ص 176.

⁴ أبو الفداء، تقويم البلدان، نص: البارون مالك كوكين دبسلان و وينود مدرس العربية، دار صادر، بيروت، 1830م، ص 134.

⁵ الزاب الكبير: منه بسكرة وتوز وقسنطينة وطولقة وقفصه و نفاوذة ونفطه وبادس، والزاب هو أيضاً: كوره صغيرة يقال لها ريغ، كلمة بربرية معناها السبخة، فمن كان منها يقال له الريغي، والزاب أيضاً: كوره عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البتر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متوائمة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها، للمزيد ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 02، دار صادر، بيروت، (د.س)، ص 08.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

الشرقية الممتدة من الجزائر إلى بجاية والمناطق التي بداخلها بلاد صنهاجة وعاصمتها أشير¹ تسكنها قبائل زاوية وكتامة وهوارة².

حيث أن القلقشندي(ت.821هـ/1418م)، يذكر أن بجاية من مدن المغرب الأوسط، وغربي بجاية جزائر بني مزغنة ومن المدن التي بأعمال بجاية نجد قسنطينة وهي آخر مملكة بجاية، وسطيف وتاهرت هي قاعدة المغرب الأوسط³.

أما بالنسبة للحسن الوزان المعروف بليون إفريقيا(كان حيا 957هـ/1550م)، فقد أطلق على بلاد المغرب الأوسط لفظة مملكة حيث بين أن مملكة تلمسان يحدها وادي زا ونهر ملوية غربا، والواد الكبير الصومام وصحراء نوميديا جنوبا، وكانت هذه المملكة تحمل في القديم اسم القيصرية، في حين ضم بجاية إلى بلاد المغرب الأدنى وأطلق عليها اسم مملكة بجاية⁴، (ينظر الملحق رقم 01).

ويطلق مارمول كاربخال أيضا على بلاد المغرب الأوسط اسم مملكة تلمسان وذلك نسبة إلى تلمسان عاصمة الدولة الزيانية، وبين أن تلمسان هي ثالثة ممالك بلاد البربر، يحدها غربا فاس⁵ إذ يفصل بينهما نهران أحدهما يسمى زير والأخر نهر ملوية، أما شرقا الإقليم الذي يسمى إفريقيا، وأنها تتميز بأربعة أقاليم، أولها الذي يحمل اسم المملكة وهو تلمسان، والثاني تنس، والثالث الجزائر، أما الرابع والأخير فيطلق عليه اسم بجاية⁶.

¹ أشير: تقع مدينة أشير حاليا حسب الدارسين والباحثين بنواحي بوغاز، وهي تتواجد في طرفي إفريقيا الغربية المقابل لبجاية، وتبعد عن الجنوب الشرقي لمدينة الجزائر العاصمة بحوالي 150 كلم، كما تبعد عن عين يوسف الحالية التابعة لمدينة المدية في سفح جبل التيطري بحوالي 12كلم، وهي مسكن آل زيري بن مناد، كانت مسكونة من قبل قبيلة تلكانة الصنهاجية، للمزيد ينظر نعيمة بوكريدي، مدينة أشير من خلال الكتابات التاريخية والمصادر الجغرافية في العصر الوسيط، مجلة الأحياء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بو علي . الشلف ، الجزائر، مج22، ع31، جوان2022م، ص.ص 793.792.

² ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة، ج06، ط02، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص134.

³ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج05، دار الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية، القاهرة، 2015م، ص.ص.10699.

⁴ الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج02، ط02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م، ص07.

⁵ فاس: تبتدئ مملكة فاس من نهر أم الربيع غربا لتنتهي إلى نهر ملوية شرقا، وفي الشمال يحد قسم منها بالبحر المحيط وسائرهما بالبحر المتوسط، تنقسم هذه المملكة إلى سبعة أقاليم، هي تامسنا، ومنطقة فاس، وأزغار، والهبط، وكروط، والحوز، وكان لكل إقليم منها في القديم إمارته الخاصة، وحتى إقليم فاس لم يكن في الأول قاعدة حكومية ملكية، وقد أسس مدينة فاس ثائر شيعي، وظلت السلطة في يد أسرته مدة تقرب من مائة وخمسين سنة، للمزيد ينظر الحسن الوزان، ج01، المصدر السابق، ص193.

⁶ مارمول كاربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج02، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الإسكندرية، 1988. 1989م، ص291.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

ومن خلال نصوص كتب التراجم والطبقات، الذين تمسكوا بإنتمائهم الجغرافي، وعبروا عن موقفهم، والمحافضة على انتمائهم الجغرافي داخل حدوده، الذي يمتد من بلاد العناب شرقا، إلى ماوراء تلمسان غربا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى صحراء توات¹ وورجلان جنوبا².

في حين يذكر محمد حصباية أن المغرب الأوسط يضم تلمسان وسواحلها على البحر الرومي من بلد هنين³ ووهران والجزائر، ثم يتصل ببجاية شرقا ويضم بلد أشير وبلد المسيلة ثم الزاب وقاعدته بسكرة تحت جبل الأوراس المتصل بدرن وتبسة والأريس وعلى ساحل البحر بونة ويحده شرقا بلاد أفريقية ومضارب قبائلها من ديار نفزاوة وبني يفرن ونفوسة وقاعدتها القيروان، أما الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط حدودها العرق الكبير، وهو سياج على المغرب من الجهة الجنوبية يعترض العرق أرض محجرة تسمى عند العرب الحمادة تمتد إلى بلاد ريغ والمناطق الجنوبية للمغرب الأوسط، وتمتد الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط شرقا إلى أن تصل غدامس⁴ وفزان⁵ وودان⁶.

1 إقليم توات: مكون من ثلاثة مقاطعات وهي: توات الوسطى، تيكورارين، تيديكلت، حيث أن عاصمة الإقليم هي تمنطيط، وهي إحدى بلديات أدرار، يحدها شمالا كل من سبع و أدرار ومن جنوبها بلدية فنوغيل، وغربا بلدية بودة أما شرقا فكل من تمقطن و أورقروب، وقد سميت توات لأنها تواتي للعبادة، وهذا سر سكنى كثير من الأولياء و العارفين، للمزيد ينظر ميلود بلحاج، الحياة السياسية بمنطقة توات خلال العصر الوسيط، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع05، ديسمبر 2018م، ص.ص 25 - 29.

2 عبد العزيز فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ص13.

3 هنين: مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، إذ لا يفصل بين تلمسان و هنين سوى أربعة عشر ميلا، وكان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات، ودورهم في غاية الجمال والزخرفة، ولكل دار بئر من الماء العذب، أرضها مبلطة بالزليج الملون، وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج، للمزيد عن هذه المدينة ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02 ص15.

4 غدامس: منطقة كبيرة مسكونة، حيث القصور العديدة والقرى المأهولة، على بعد نحو ثلاثمائة ميل من البحر المتوسط، سكانها أغنياء، لهم بساتين نخل وأموال، لأنهم يتجرون مع بلاد السودان، يديرون شؤونهم بأنفسهم ويؤدون خراجا إلى الأعراب، وكانوا من قبيل خاضعين لملك تونس أي لخليفته في طرابلس، ويرتفع ثمن القمح واللحم في هذا المكان ارتفاعا كثيرا، للمزيد ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص146.

5 فزان: منطقة كبيرة جدا، فيها قصور عظيمة، وقرى كبيرة، كلها عامرة بناس أغنياء يملكون النخيل والأموال، ويجاورون كلا من أكاذ و صحراء ليبيا المتاخمة لمصر، على بعد مسيرة قرابة ستين يوما من القاهرة، ولا يوجد بين فزان ومصر مكان مسكون من غير أوجلة الكائنة في صحراء ليبيا، ويحكم فزان أمير هو بمثابة القاضي الأول للشعب، يتصرف في جميع موارد البلاد لصالح الجماعة، للمزيد ينظر نفسه، ص146.

6 محمد حصباية، المغرب الأوسط المجال والإنسان والاندماج، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، الجزائر، مج03، ع01، 2022م، ص194.

ولهذا يمكن القول أن الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط أثناء حكم بني زيان له، قد بلغت نواحي بجاية وبلاد الزاب من الشرق، ومن نهر ملوية وتاوريرت¹ ووجده من الغرب والجنوب الغربي، ومن مصب نهر ملوية وهنين، ودلس² وحصن بكر وتامزيدكت عند مصب وادي بجاية (وادي الصومام) على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا، إلى ورجلان وغرداية وإقليم توات جنوبا، وهي الحدود التي استمرت عليها الدولة الزيانية في أغلب الأحيان طوال وجودها بالرغم من الغزوات والهجمات التي قامت بها كل من الدولة المرينية والدولة الحفصية، مرات عديدة على الأراضي الزيانية وعلى عاصمتها مدينة تلمسان³.

1 توريرت: هي مدينة قديمة بناها الأفارقة على تل مرتفع قرب نهر زاع، تحيط بها أرض زراعية جيدة، لكنها لا تمتد بعيدا لمحاذاتها صحراء وعرة جافة، وتتاخم هذه الصحراء من الشمال كرط، ومن الجنوب صحراء الظهرة، ومن الشرق صحراء أنكاد حيث تبتدأ مملكة تلمسان، ومن الغرب صحراء تفرطة المتاخمة لمدينة تازا، للمزيد ينظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص349.

2 دلس : مدينة عتيقة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثون ميلا من شاطئ البحر المتوسط، تحيط بها أسوار قديمة متينة وجل سكانها صباغون لوجود عدد ن العيون والجداول بها، وهؤلاء السكان ذوو بشاشة ومرح، يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود والقيثار، يمتلكون أراضي زراعية كثيرة تنتج القمح بوفرة ، ويرتدون لباس حسنا كلباس الحضريين الجزائريين، وتتبع دلس عاصمة الجزائر في كل شيء، حكومة وإمارة، للمزيد ينظر الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج02، ص 42.

3 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)، ج01، دار موقم للنشر، الجزائر، 2002م، ص45.

ثانيا: الإطار التاريخي للدولة الزيانية.

عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون (633- 962 هـ / 1236-1554م)، وكانت هذه الدولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم دولة بني عبد الواد، وبعد ما تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى الأخير وأحيائها بعد اندثارها، أطلق عليها اسم الدولة الزيانية وتاريخ هذه الدولة شائك ومشحون بالحوادث والاضطرابات¹.

أ. أصل بني عبد الواد:

ينسبون إلى زيان بن ثابت بن محمد بن سدوكس بن أطاع الله بن علي بن يميل بن يزجان بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس الثاني، وبذلك ينسبهم النسابة إلى الفرع الثاني من بني عبد الواد المنتسبين إلى القاسم².

حيث يتضح من خلال ذلك أن دولة بني زيان أو بني عبد الواد ينتمون إلى قبيلة بني عبد الواد الزناتية³، وضمت عددا كبيرا من القبائل التي اتحدت فيما بينها تحت اسم بني عبد الواحد، وشملت بنو أولو، بنو رهطف، بنو تومرت، بنو القاسم، وكان بنو عبد الواد من أمراء الرحل التي تنتقل في الصحراء خلف الماء والكلأ والمراعي⁴.

إذ يؤكد فيلالي أيضا أن الدولة الزيانية تنسب إلى قبيلة بني عبد الواد إحدى بطون زناتة، حيث كان بنو عبد الواد يرتادون منطقة الأوراس وينتجعون إقليم الزاب و قسنطينة ، والظاهر أن بني عبد الواد كانوا قد شاركوا في جيش عقبة بن نافع الفهري أثناء حملته الثانية المشهورة، بالمغربين الأوسط والأقصى، فقد

1 يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص 49.

2 مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، ج02، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص16.

3 قبيلة زناتة : حسب قول ابن حزم ثلاثة أحياء: الديديت، وورسيج، وفريني، وعند ابن خلدون: الديرت، وورسيك وفرني، وقد تتاسلوا، وتكاثفت أحياءهم، إلى حد أن أصبحوا في مرتبة قبائل، وبهذا يحتلون مراتب أعلى من مرتبة بطن، ويبدو أن ابن خلدون ساير التعبير المتبع لدى نسابة زناتة، الذين كانوا يقابلون زناتة بالبربر، نظرا لاعتقادهم في نسبهم العربي، وذلك من خلال المزاعم السائدة بين قبائل زناتة، ومفادها أنهم ينتمون إلى العرب، لذا فهم عندما يتكلمون عن سكان المغرب، يقولون: زناتة، والبربر، فزنانته كما سبق تنسب إلى زانا بن يحي بن ضري بن مادغيس الأبتري، أي أنهم يعودون بنسبهم إلى العرب أي قيس عيلان، ولكن ابن حزم، وابن خلدون ينكران كما سبق تلك الأقوال، ويرجحان القول باننسبهم إلى كنعان بن حام، مثل ما هو الحال بالنسبة لكثير من الأمازيغ، للمزيد ينظر الدراجي بوزياني، القبائل الأمازيغية أدورها - مواطنها - وأعيانها، ج01، ط04، (د.ب)، 2010م، ص.ص. 240 - 243.

4 فاتن كامل شاهين، دولة بنو عبد الواد (بنو زيان) دراسة تاريخية، مجلة الباحث، مديرية تربية كربلاء المقدسة، مج 42، ع03، 2023م، ص346.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

شملت هذه الحملة أراضيهم في الأوراس، ومعاقلمهم في الزاب، لذلك يكون هؤلاء قد انضموا إلى جيش عقبة بن نافع وآزروه في حربة وجهاده ضد الحصون البيزنطية، والقبائل البربرية الأخرى، ويكونون قد أبلوا بلاءا حسنا في مهمتهم إلى جانب المسلمين، وهذا في حد ذاته يدل على أن بني عبد الواد اعتنقوا الإسلام مبكرا¹.

ب. قيام دولة بني عبد الواد :

عند ضعف السلطة المركزية في مراكش وتقلص نفوذ الموحدين، أصبح تأثيرهم ضعيفا على الأقاليم المغربية، خاصة على بلاد المغرب الأوسط، وقد أدى إلى تقاوم الأمر أيضا عدم كفاءة الولاة الموحدين، وجهلهم وسوء سلوكهم تجاه الرعية ورؤساء القبائل، هذا ما ساعد على ظهور بنو عبد الواد على الساحة السياسية في المغرب الأوسط، وتدرجوا من الإقطاعات والحطوة إلى مقاليد السلطة في تلمسان².

ففي عام 1236م عهد الخليفة الموحد الرشيد³ ولي ولاية تلمسان وإقليمها إلى الأمير ياغمراسن⁴، فكان ذلك كما قال ابن خلدون، سلما إلى الملك الذي أورثه إلى بنيه سائر الأيام، وكان ياغمراسن بن زياد بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وإجلالا⁵.

حيث أن ياغمراسن استقل بالملك في أيام الرشيد فبعث إليه الرشيد بهدية عظيمة مؤملا ماكان ممن قبله من الخطبة لهم فلم يجبه إلى ذلك، وأظهر كل واحد عداوة الآخر، فهم الرشيد بالتحرك نحوه لكن عاجلته المنية، إذ تولى الأمر بعده أخوه السعيد المامون ثم اتفق أن بعث الأمير أبو زكرياء بن عبد

1 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص14.

2 نفسه، ص 16.

3 الخليفة الرشيد عبد الواحد: هو السلطان الموحد عبد الواحد بن المأمون إدريس المؤمني كان يلقب بالرشيد، تملك الحكم وتمكن من إعادة الخطبة بذكر المهدي المعصوم ابن تومرت ليستميل قلوب الموحدين، مات غريفا في بستان قصره بمراكش سنة 640هـ، للمزيد ينظر شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، ج02، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص343.

4 ياغمراسن: هو أسم أمازيغي الأصل ، اختلف في نطقه فالتنسي وعبد الرحمان بن خلدون يضبطانه بياء فغين مفتوحة تليها ميم ساكنة فراء مفتوحة فنون ساكنة (يغمرسن)، أما المؤرخون الغربيون، فينطقونه بياء مفتوحة، فغين ساكنة، فميم مضمونه، أما أصله في اللغة الأمازيغية فيكتب بألف مكسورة بدل الياء، وضم الغين، ثم تسكين الميم (اغمراسن)، وهذا النطق الأخير هو المتداول في الجزائر خاصة بمنطقتي القبائل وتلمسان، للمزيد عن الشخصية ينظر حسين تواتي، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية الكتابة أنموذجا (791.633هـ/ 1236. 1389م)، إشراف: ميخوت بودواية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2014م، الحاشية رقم02، ص34.

5 يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص52.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

الواحد بن أبي حفص الهنتاتي هدية إلى السعيد حين ظن أنه استوثق له ملك المغرب، فتعرض لها أمير المسلمين ياغمراسن وأخذها، وانتظر الأمير أبو زكرياء انتصار السعيد لنفسه في ذلك ولم يكن منه نهوض فخلع حينئذ طاعته واستقل بنفسه¹.

ت. توسع وازدهار الدولة:

استقل ياغمراسن بمدينة تلمسان حيث كانت إمارته تابعة للخلافة الموحدية بمراكش، ولكن عندما ضعفت الدولة الموحدية استقل بنو عبد الواد عنها واختاروا تلمسان عاصمة لإمارتهم، إذ تعرضوا لهجمات عديدة من جيرانهم في المشرق وفي المغرب أقلقت راحتهم وأثرت على استقرارهم السياسي، ولكن ياغمراسن استطاع السيطرة على ذلك بكل إمكانياته وقاوم أعدائه بفضل اعتماده على مساعدة قبائل بني عامر² له³.

رغم كل تلك الهجمات التي تعرض لها ياغمراسن بن زيان استطاع أن يجمع قواه ويعيد بناء دولته في جميع الجوانب، واستمر الوضع على هذا الحال طيلة 48 سنة هي مدة حكم ياغمراسن بن زيان، الذي أوصى خليفته أبا سعيد عثمان⁴ على تجنب ملاقات المرينيين ومد أراضي دولته إلى الجهة الشرقية على حساب الحفصيين⁵.

عملت الدولة المرينية على تأمين حدودها الشرقية ودخلت في صراع عنيف وقتال مرير مع بني عبد الواد الذين هزموا في سنة 671هـ / 1271م، ثم تحركت القوات المرينية نحو تلمسان وضربت عليها حصارا استمر لمدة عام كامل، ثم رفعت عنها الحصار وذلك من أجل أن تتفرغ الدولة المرينية للإستلاء على ما تبقى من أقطار المغرب الأقصى، وحانت الفرصة لبني عبد الواد عندما انتقل المرينيين بالجهاد

1 التتسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود آغا بوعياذ، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م، ص115.

2 بني عامر : أدت هذه القبائل دورا نشيطا في الأحداث التي عرفتها الدولة الزيانية، وكان استقرارهم بالجانب الجنوبي من تلمسان، إلى جبل كزول، بتيهت حتى عين أيفكان، قرب معسكر، وتساله ومنها امتد نفوذهم إلى ضواحي وهران، إلى جانب مضاريهم، يوجد بنو يزيد، وأصلهم من حميان، وأولاد جواب، وبنو كرز، وبنو موسى، والمربعة، والخشنة، والعكرمة، فأصبحت هذه القبائل تشكل إمارة، للمزيد ينظر مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، ج 01، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص47.

3 فاتن كامل شاهين، المرجع السابق، ص 348.

4 أبو سعيد عثمان: هو محمد بن عثمان بن ياغمراسن بن زيان الأمير أبو زيان ثاني سلاطين الدولة الزيانية للمزيد ينظر ابن القاضي المكناسي، ذيل وفيات الأعيان المسمى "درة الحجال في أسماء الرجال"، تح: محمد الأحمد أبو النور، ج02، ط01، مطبعة السنة المحمدية، (د. ب)، 1971م، ص 241.

5 حسين تواتي، المرجع السابق، ص45.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

في الأندلس، لذلك تحالفوا مع بني عبد الأحمر لما ساءت العلاقة بين المرين وبني الأحمر بفعل العمل الإستخباراتي النصراني الإسباني، حيث قام بني عبد الواد بالهجوم على حدود الدولة المرينية فاضطر المرينين أن يعيدوا الحرب عليهم وألحقوا بهم الهزائم في سنة 679هـ/1280م¹.

وخلال هذا الحصار توفي الخليفة أبا سعيد عثمان عام 703هـ فخلفه ولده أبو زيان محمد²، ولا يزال الحصار قائم على المنطقة ولم ينفك إلا بموت يوسف أبي يعقوب المريني³، وعند فك الحصار شرع الخليفة الزياني في إصلاح مخلفات الحصار حتى توفي سنة 707هـ.

بعد وفاة أبو زيان محمد خلفه أخوه أبي حمو موسى الأول، كما تذكر النصوص التاريخية أنه تميز بالصرامة والحزم المفرط، أعاد للدولة الزيانية مجدها وعزها واستقلالها بعد عشرية تقريبا من الهيمنة المرينية التي كادت أن تبطش بالعرش الزياني، استهل أبو حمو الأول سياسته بإتباع نهج والده وهي الجنوح إلى مهادنة بني مرين ومسالمتهم، فأبرم اتفاقية تتضمن معاهدة الإخاء وحسن الجوار، كما اهتم بالبناء والتشييد وتطوير الجيش وتقويته لأنه أداة القوة والسيادة وزاد في عدته وعدده، وقد عرفت الدولة أثناء حكمه ازدهارا كبيرا في شتى المجالات، ظل أبي حمو موسى الأول ينتهج هذه السياسة، لكنه لم يستطع السيطرة على طموحات ابنه العاق في عزوا المرينين، حيث دبر لأبيه مؤامرة وتمرد أدى بحياته سنة 718هـ⁴.

بعد قتل والده تولى أبو تاشفين الأول الحكم حيث كان من أول أعماله هو التخلص من أبناء ياغمراسن في الحكم، وقد ولى هذا الخليفة أكثر اهتماماته إلى البناء حيث بني في عهده القصور والدور وسعى جاهدا لإخضاع القبائل البربرية، وتوجه نحو الشرق إلى أن وصل إلى مدينة بجاية في عام

1 فاتن كامل شاهين، المرجع السابق، ص 347.

2 أبو زيان : هو محمد بن عثمان بن عبد الرحمان بن يحيى بن ياغمراسن بن زيان، يلقب بالمتوكل على الله وهو ثالث السلاطين الزيانيين، دامت فترة حكمه 15 سنة، للمزيد ينظر ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، ص 241.

3 السلطان أبو يعقوب المريني: هو أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، من أشهر ملوك بني مرين المؤسسين للدولة المرينية بالمغرب الأقصى، للمزيد ينظر الأمانة العامة للأوقاف، مدونة أحكام الوقف الفقهية، ج03، ط01، مكتبة الكويت للنشر والتوزيع، الكويت، 2017م، ص 329.

4 عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ص.ص 4340.

مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية

737هـ، وفي هذه الأثناء استغل أبو الحسن المريني الفرصة ودخل تلمسان واستطاع التخلص من أبو تاشفين الأول¹.

بعد مقتل أبو تاشفين تولى الحكم من بعده أبو حمو موسى الثاني² من 760هـ / 1359م إلى غاية 791هـ/1389م الذي عمل على إخراج المرينيين الذين دخلوا تلمسان أثناء حكم أبو تاشفين، وإعادة إحياء دولة بني عبد الواد من جديد، وهو بمثابة الذروة للدولة الزيانية من حيث النظام السياسي والاجتماعي والثقافي وقد كان في عصره العديد من الحروب مع بني مرين³، وفي الأيام الأخيرة أتفق كل من السلطان المريني أحمد وابن أبو حمو موسى الثاني أبو تاشفين الثاني الإطاحة به، حيث استطاع أحد أتباع ابنه اغتياله سنة 791هـ⁴.

ث. اضمحلال وسقوط دولة بني عبد الواد:

بعد وفاة أبي حمو موسى الثاني وولاية ابنه أبو تاشفين الثاني الحكم 791هـ/1388م، دخلت الدولة الزيانية في مرحلة جديدة من تاريخها، تتمثل في التدخلات الخارجية في شؤونها الداخلية، إذ أن استجاده بالمرينيين في حربه ضد أبيه، شجعتهم على مواصلة هذه السياسة التي تجنّبهم كثرة التكاليف، خاصة وأن الضعف بدأ يسري في جسم دولتهم⁵.

وبسبب المساعدات التي قدموها له أصبح، أبو تاشفين يخطب لسلاطين بني مرين على المنابر التلمسانية، لكن البيت التلمساني لم تعجبه هذه الاستكانة والهيمنة المرينية الجديدة، فلم يستسلموا للأمر الواقع، فثار أخوه أبو زيان بن أبي حمو عليه وعمل على خلع⁶.

1 ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تج: هاني سلامة، ط01، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 2001م، ص 30.
2 أبو حمو موسى الثاني: هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان ابن يحي ياغمراسن، ولد ببلاد الأندلس في مدينة غرناطة، سنة 723هـ نشأ في تلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء فعرف حياة البلاط ونال من العلم حظاً وافراً مكنه من تحصيل مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية، اتسم عهده بالنشاط العسكري لأكثر من ثلاثين سنة قضاها في بناء الدولة الزيانية وتوسيع رقعتها وتمتين أسسها، للمزيد ينظر عمارة لاغة، علاقة الشريف التلمساني بتلمسان - أبو حمو موسى الثاني نموذجاً، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، مج.05، ع.12، ديسمبر 2017م، ص.ص 199-200.
3 عبد العزيز فيلاي، تلمسان، المرجع السابق، ص.ص 55 . 60.
4 التنسي، المصدر السابق، ص.ص 180. 181.
5 لطيفة بشاري بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 7- 10هـ / 13- 16م، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر-02، الجزائر، ع 03، 2012م، ص 69.
6 عبد العزيز فيلاي، تلمسان، المرجع السابق، ص.ص 67.

حيث أن هذا الصراع الداخلي الذي عملت السلطة المرينية على تقويته دام أكثر من 171 عام من حكم أبي تاشفين الثاني إلى غاية آخر سلطان زياني، الحسن بن عبد الله 962هـ/1554م، هذا ماجعل زمام أمور الدولة الزيانية تتراوح في هذه المرحلة بين التبعية المرينية تارة، والحفصية تارة أخرى، وذلك بسبب الفتن التي كانت تُزرع بين حكام الدولة الزيانية¹.

وفي هذا السياق يمكن تلخيص أسباب سقوط الدولة الزيانية فيما:

- ✓ النزاع الداخلي بين أفراد السلطة الحاكمة من أجل الوصول إلى الحكم.
- ✓ قتال الحفصيين لهم في عهد أبي فارس عبد العزيز وعهد أبي عمر وعثمان أضعف الدولة وخلخل بنيتها القائمة عليها.
- ✓ ظهور دويلات على الساحل انفصلت عن الدولة.
- ✓ الغزو الصليبي الإسباني واحتلالهم بجاية سنة 910هـ/1504م، ثم استيلائهم على وهران، ثم سعيهم للاستيلاء على باقي مدن المغرب الأوسط.
- ✓ ظهور أسطول الأخوين عروج وخير الدين بربروس، هذا الأخير استطاع أن يضع حداً للعدوان الصليبي الإسباني، كما الأمر بزوال دولة بني زيان سنة 962هـ/1554م، ودخول المغرب الأوسط تحت الحكم العثماني، الذي استطاع تصفية الوجود الإسباني على الساحل تدريجياً².
- وفي الأخير يمكن القول أن النزاع الداخلي بين أبناء الأسرة الحاكمة، من أجل الوصول إلى الحكم، وقاتل الحفصيين والمرينيين على بلاد المغرب الأوسط، كانا السببين الرئيسيين اللذين أديا إلى سقوط دولة بني زيان بالمغرب الأوسط.

1 حسين تواتي، المرجع السابق، الحاشية رقم 03، ص52.

2 فانتن كامل شاهين، المرجع السابق، ص. ص 348 - 349.

الفصل الأول:

مصادر المياه وضوابطه الشرعية

والعرفية خلال العهد الزياني

أولاً: ماهية الري

ثانياً: مصادر المياه خلال العهد الزياني

ثالثاً: الضوابط الشرعية والعرفية لتنظيم الموارد

المائية

أولاً: ماهية الري

1. تعريف الري:

أ. لغة:

الري أو السقي مشتقة من اللفظ سَقَاه يسقيه، وسقاه وأسقاه، أو سقاه وسَقَّاه: بالسَّقَاءِ، وأسَقَّاه: دله على الماء، أو سقى ماشيته، أو أرضه، أو كلاهما: جعل له ماء، وهو ساقٍ من سقى وسَقَّاه، وسَقَّاه من سَقَّائِينَ، وهي سَقَّاءة وسَقَّاية، والسقي كالسَّعْيِ، وبالكسر: ما يُسْقَى، والزرع المسقي كالمسقوي، وماء يقع في البطن، ويفتح، وجلدة فيها ماءً أصفر تنشق عن رأس الولد، وسقي بطنه، واستسقى: اجتمع فيه ذلك، واستسقى منه: طلب سقياً، كاستقى فيهم، وسقاه الله الغيث: أنزله له، واستقى: سَمِنَ، وتَسَقَّتِ الإبل الحودان: أكلته رطباً، فسمنت عليه، والشيءُ: قبل السَّقْيِ وتَرَوَى¹.

والسقي: بفتح السين المشددة وسكون القاف، للأرض: ريها بالماء، والسقاية: الإناء يُسقى به، وقد يكال به، وسقاية الحاج: سقيهم بالماء².

ب. اصطلاحاً:

الري في أبسط تعريف له هو الاستعمال الصناعي للمياه للتغلب على نقص مياه الأمطار وعدم كفايتها لفلاحة الأرض، وقد ظهرت أول أشكال الزراعة في أقاليم تمتد في النطاقات الجافة وشبه الجافة، مما حتم توجه الاستقرار البشري قرب مصادر المياه واستغلالها صناعياً في الزراعة خاصة في أحواض الأودية الأنهار حيث تطلب ذلك ضرورة السيطرة على المياه وتوجيهها صوب المساحات المزروعة والعمل على توزيعها، وفي مرحلة تالية السيطرة عليها و تخزينها ورفعها رأسياً في حالة انخفاض منسوب المياه بالنسبة لسطح الأرض الزراعية³.

ويذكر ابن العوام الأشبيلي أن ما يصلح الأشجار هي كثرة الماء ووفرته في ذلك دليل على أن الري عامل أساسي لكثرة الإنتاج الزراعي⁴.

1 الفيروز آبادي، القاموس المحيط مرتب ترتيباً ألفبائياً وفق أوائل الحروف، مر: أنس محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م، ص784.

2 محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط01، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1992م، ص288.

3 محمد خميس الزوكه، جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م، ص175.

4 ابن العوام الإشبيلي، الفلاحة الأندلسية، تح: أنور أبو القاسم سويلم وآخرون، ج01، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن، 2012م، ص544.

ولقوله تعالى:

{ فَسَقِيَ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَىٰ الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }¹.

ومنه يمكن القول بأن الماء هو من سبل العيش وقضاء جميع حاجيات الناس، وكذلك كل النباتات هي بحاجة له لنموها لأنه عامل رئيسي لاستمرار الحياة.

2. أهمية الري:

قال الله تعالى في محكم كتابه { لِنَحْيِي بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأَنْاسِيًّا كَثِيرًا }².

من هنا ندرك أن القرآن الكريم، قد أكد على أهمية الماء والسقي في حياة الأمم والأرض كلها، حيث أشار إليه في العديد من آياته الكريمة، وذكره في أشكال مختلفة منها: المطر والأنهار والعيون والبحار والأودية والسحاب، وعلى أنه سر استمرارية الحياة على وجه الأرض، وإن الثروة المائية يمكن توظيفها في مختلف المجالات، وبالشكل الذي يحقق به الرخاء الاقتصادي المنشود³.

وهذا أكده أيضا فيلالي حيث يقول أن السقي له أهمية كبيرة وضروري لقيام أي نوع من أنواع النباتات فوق سطح الأرض⁴.

ونظرا للأهمية التي اكتسبها الري تكشف لنا المصادر عن عبقرية الفلاحين أثناء حكم بني زيان في وضع تقنيات ووسائل وأساليب مختلفة من أجل استخراج المياه وجلبه وتخزينه، كما تشير إلى وجود خصوصيات للري في مناطق جغرافية دون أخرى، ولعل ما يقع دليلا على ذلك وجود نموذجين اشتهروا بأعمال الري هما: أبو الحسن علي بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن كان من أعلم الناس بأمور الري والمباني، وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن علي التازي الذي جلب لمدينة وهران ماء عظيم قد جمعه من محاله بتدبير اقتبسه، وبغض النظر عن انتمائهم الاجتماعي إلا أن أعمالهم تعبر عن وجود تقنيات الري في المجتمع الاقتصادي بالمغرب الأوسط⁵.

1 سورة القصص، الآية 23، برواية ورش عن نافع.

2 سورة الفرقان، الآية 49، برواية ورش عن نافع.

3 جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية من القرن (10-07 هـ / 16-13 م)، إشراف: بن داود نصر الدين، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، 2021/2020، ص 37.

4 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج 01، المرجع السابق، ص 491.

5 لخضر العربي، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633-962 هـ / 1235-1554 م)، إشراف: محمد بن معمر، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تاريخ إسلامي وسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بله - وهران، الجزائر، 2018/2017، ص.ص 136-137.

ثانياً: مصادر المياه خلال العهد الزياني

1. الأمطار:

تعتبر الأمطار هي المصدر الأول للمياه في المغرب الأوسط وتميزت في معظم الأحيان بالتذبذب، وتختلف كميات التساقط من منطقة إلى أخرى، حيث كانت المناطق المحاذية للبحر الأبيض المتوسط الأكثر تساقط وخصوبة وغالب زرعها على مياه الأمطار.

إذ يذكر البكري أن في بونة الحديثة بئر على صبغة البحر منفورة في حجر صلد يسمى بئر النشرة منها يشرب أكثر أهلها، وبغربي هذه المدينة ماء سايح يسقي البساتين وهو مستنزّه حسن يطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد¹.

أما ياقوت الحموي (ت 626هـ/1229م)، فقد أوضح أن تيهرت كثيرة الأمطار والتساقط، وذلك بقوله " هي شديدة الغيوم والثلج"².

وعن المناطق الجنوبية فقد كانت فيها ندرة في الأمطار، والدليل على ذلك أن الكثير من القبائل التي كانت تسكن الصحراء تلجأ غالباً إلى تكوين أحلاف في ما بينها للتنقل من أجل البحث عن المياه، نظراً للقط والجفاف اللذان يميزان المناطق الجنوبية في معظم أيام السنة، وقد كانت درجة الحرارة في المناطق الصحراوية تصل إلى خمسين درجة³.

والمعروف أن الوديان كانت تتغذى من الأمطار في نهاية الخريف وفي فصل الشتاء وجزء من فصل الربيع وذلك خاصة على السواحل وجبال التل والهضاب والسهوب، ثم تنخفض كمية التساقط كلما توجهنا نحو الجنوب إلى الصحاري وأن هذه الأخيرة يكتنفها الجفاف في معظم الفصول⁴، مما جعل السكان يلجئون إلى صلاة الاستسقاء أمام هذا الجفاف الشبه الدائم وإضافة إلى انحباس المطر عليها، والدليل على ذلك ما فعله الشيخ أبو محمد اللواتي فهطلت المطر ودامت أيام عدة، وهذه إشارة مهمة على

1 البكري، المصدر السابق، ص55.

2 ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج02، دار صادر، بيروت، (د.س)، ص08.

3 سليم حاج ومحمد بن موسى، المرجع، ص100.

4 عبد العزيز فيلاي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص143.

مدى ارتباط سكان الواحات وحاجتهم للمطر، وكيف أن الشيوخ بنفوذهم الروحي، كانوا مرجعية للسكان لطلب الماء وسقوط الأمطار¹.

ومن هنا نستخلص أن المناطق الشمالية كانت أكثر تساقطا من المناطق الجنوبية، كما تختلف تساقطها أيضا من سنة إلى أخرى، وهذا مآثر بشكل كبير على الشبكة الهيدروغرافية سواء السطحية منه أو الجوفية، وذلك لكون هذه الشبكة تتغذى من الجبال التي تعتبر خزانا لمياه المغرب الأوسط، وظل هذا الخزان رهين لمستوى التساقطات المطرية أو الثلجية².

2. الأنهار والأودية:

تعتبر الأنهار والأودية هي الآخر من أهم مصادر المياه خلال العهد الزياني، وقبل عرض الأنهار والأودية المتواجدة يجب توضيح التداخل الذي بين المصطلحين، حيث أنه لم يكن هناك تمييز دقيق بينهما فهناك من يطلق على النهر كلمة الوادي والعكس كذلك.

فمثلا ياقوت الحموي يذكر أن لتنس نهر يأتيها من جبال على مسيرة يوم من جهة القبلة ويستدير بها من جهة الشرق³، في حين يوضح ابن حوقل أنه وادي بقوله أن تنس مدينة عليها أسوار ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد أحاط به السور، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين علو واد كثير الماء وشربهم منه⁴، وكذلك الإدريسي ذكر في كتابه نزهة المشتاق أن لتنس واد كبير⁵.

و الجدير بالذكر أن الأنهار والأودية المتواجدة بشرق بلاد المغرب الأوسط تمتاز بالقصر، والسهول المحيطة بها ضيقة، في حين نجد أنهار الجهة الغربية دائمة الجريان، كما أن السهول الغربية واسعة فيحاء⁶.

1 سكيئة عميور، ريف المغرب الأوسط من القرن 05 - 12.11/هـ06م دراسة اقتصادية واجتماعية، إشراف: إبراهيم بكير بحاز، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: تاريخ الريف والبادية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة.02، الجزائر، 2012.2013م، ص.ص86-87.

2 جيلالي هناني ونصر الدين بن داود، تنظيم الري واستغلال المياه ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (10.07/هـ13-16م)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة تلمسان، الجزائر، مج12، ع02، ديسمبر2022م، ص344.

3 ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص48.

4 ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص78.

5 الإدريسي، المصدر السابق، 153.

6 سكيئة عميور، المرجع السابق، ص87.

سنحاول في هذه الجزئية التطرق إلى أهم الأنهار والأودية المتواجدة في بلاد المغرب الأوسط، جاهدين على أن نذكرها من ناحية الشمال نحو الجنوب إذ أننا سنبدأ أولاً بالأنهار التي كانت متواجدة على المناطق الساحلية الشمالية هي كالآتي:

• **نهر بونة:**

يقع هذا النهر شرق بلاد المغرب الأوسط من الناحية الشمالية المحاذية للساحل، حيث يؤكد ابن سعيد المغربي(ت 685هـ/1286م)، في كتابه " الجغرافيا " أن أول مدينة على البحر هي مدينة بونة، وهي من حيث الطول ثمان وعشرون درجة والعرض ثلاثة وثلاثون درجة، دقيقة ولها نهر متوسط ينصب في البحر بغربها¹، والملاحظ أن هذا النهر قد أهمل ذكره من قبل أغلب الرحالة والجغرافيين، وهذا ربما لقلة أهميته أما نهر بجاية².

• **نهر بجاية:**

ذكره البكري في قوله " بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس شرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة"³، وقد كان هذا النهر له عدة تسميات منها الوادي الكبير⁴، أما أبو الفداء فقد ذكر أن " بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ولها نهر على شاطئيه البساتين "⁵، ويبدو أن بجاية قد تمتعت بثروة مائية هامة⁶.

فبالإضافة إلى هذا النهر المعروف بجاية تزخر بأودية فرعية أخرى، حيث كانت هذه الأودية متنوعة بين عذبة ومالحة⁷، فقد ذكر الإدريسي هذه الأنهار المالحة في قوله " وبها أنهار ملحة "⁸.

1 ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط01، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص142.

2 سكيئة عميور، المرجع السابق، ص88.

3 البكري، المصدر السابق، ص82.

4 الإدريسي، المصدر السابق، ص162.

5 أبو الفداء، المصدر السابق، ص137.

6 وسيلة عليوش، الثروة المائية بريف المغرب الأوسط خريطتها، منشأتها، استغلالها من القرن الأول إلى السادس هجري، إشراف: إبراهيم بحاز، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، الجزائر، 2012.2013، ص29.

7 سكيئة عميور، المرجع، ص89.

8 الإدريسي، المصدر السابق، ص163.

والأنهار العذبة فقد ذكرها صاحب الاستبصار بأنها خصبة " كثيرة الفواكه والأثمار... ومطلّة على البحر وعلى فحص¹ " 2.

• نهر تنس:

لهذا النهر عدة تسميات، يختلف ذكرها من جغرافي إلى آخر، فيسمى تناتين، وتامن، ونتاتين³، وقد ذكره بأنه نهر يسمى تناتين يأتيها من جبال على مسيرة يوم ويأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجنوب والشرق يريف في البحر، أي يصب في البحر⁴، وأما ابن حوقل فقد ذكره بإسم وادي وقال أن تنس لديها واد كثير الماء وشربهم منه⁵.

أما بالنسبة للأنهار الموجودة في المناطق الداخلية والتي هي ممتدة من شرق إلى غرب فهي:

• نهر تبسة:

يعرف هذا النهر باسم وادي ملان، وملاق⁶، وهو يقل أيام الصيف، وهو صعب المجر كثير الدهس، وعليه جبل يسمى ملان يرى على مسيرة أيام لعلوه⁷. إذ يقع هذا النهر بين مدينة باغاية⁸ ومدينة مجانة⁹، فمدينة تبسة على نهر كبير كثير الفواكه والأشجار لاسيما الجوز¹⁰.

1 الفحص: هو ما استوى من الأرض، والمقصود به حسب محمد حسن: المجال الزراعي المحيط بالمدن، وعادة ما تحيط به حدود طبيعية مثل المرتفعات والأنهار، للمزيد ينظر إلى وسيلة عليوش، المرجع السابق، الحاشية رقم 08، ص 32.

2 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، 130.

3 سكيئة عميور، المرجع السابق، ص 91.

4 البكري، المصدر السابق، ص 61.

5 ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

6 سكيئة عميور، المرجع السابق، ص 91.

7 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 163.

8 مدينة باغاية: مدينة قديمة، قريبة من جبل الأوراس، ذات أنهار وثمار ومزارع، اشتهرت المدينة خلال الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط، وبلغت شهرتها الأفاق لما اتخذتها الكاهنة عاصمة لها، والمعروف أنها مدينة خنشلة حاليا، للمزيد ينظر خالد حموم، الفتح الإسلامي لمدينة باغاية وضواحيها، مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد دباغين . سطيف . الجزائر، مج 03، ع 02، ديسمبر 2019م، ص 491.

9 مدينة مجانة: مدينة عتيقة على أربع فراسخ من جبل بني عباس من جهة الجنوب، يظهر أن بنائها كان على يد الرومان، فهي محاطة بأساور قديمة، وبها عدد ون الساقيات، ويحيط بسيط يكثر به القمح ولاكنه معرض لغارات عرب أشداء يعرفون بأولاد سليمان يعيشون فيها فسدا ويضايقون أهلها مضايقة شديدة، للمزيد ينظر مارمول كربخال، المرجع السابق، ص 382.

10 البكري، المصدر السابق، ص 145.

• نهر قسنطينة:

وبقسنطينة نهر يصب في خندقها العظيم ويسمى لذلك دوى هائل ويرى النهر في قعر الخندق مثل ذوابة النجم لشدة ارتفاع قسنطينة¹، حيث كان يشرب منه السكان، ويسقي البساتين والحيوانات²، وذكر البكري أن قسنطينة كانت على " ثلاثة أنهار عظام ... وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد لقعر متناهي البعد"³.

• نهر سهر:

نخرج من القلعة إلى مدينة المسيلة وهي مدينة جبلية على نهر يسمى سهر⁴، وهذا النهر يغوص في شماليه حيث الأرض السواخة التي هي كالصابون وطالما هلك فيها من أخذ جنوبا على بلاد الجريد وكان جاهلا بها⁵.

• نهر مينة:

ومدينة تيهرت في سفح حبل يسمى قرقل وهي على نهر كبير يأتيها من ناحية المغرب ويسمى مينة، ولها نهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تأنش⁶، وقد وصف النهر المنبعث من العيون أنه كبير، ينحدر من الجبال المجاورة التي قدمت ويمر عبر سهل البطحاء ثم يتوجه شمالا إلى أن ينصب في البحر⁷، أما المقدسي فقد ذكر أن تيهرت قد أحرق بها الأنهار والتقت بها الأشجار والبساتين، ونبتت حولها الأعين⁸.

1 أبو الفداء، المصدر السابق، ص139.

2 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص92.

3 البكري، المصدر السابق، ص 63.

4 نفسه، ص 59.

5 ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص126.

6 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص178.

7 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص94.

8 المقدسي المعروف بالشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط03، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص 228.

أما عن الأنهار المتواجدة في غرب بلاد المغرب الأوسط فنذكر منها:

• نهر التافنة:

تافنة هو النهر الذي يصل إلى مدينة أرشقول وهناك ينصب في البحر، وهناك ينصب في البحر، أرشقول ساحل تلمسان¹، وهو نهر يميل إلى الصفر ويسيل في سفح قصر تمزيدكت².

• نهر تلمسان:

ذكره القلقشندي " على مسيرة يوم تلمسان... وعرض البحر منها ثلجة مجاري ونصف مجرى"³، و تلمسان لها جنات كثيرة وزرع وضرع وعلى نهرها الغربي ثلاثة آلاف الرحى وعلى حافة النهر كان القرى والمدن، حيث كان مصب هذا النهر في البحر المحيط⁴، وقد أطلق عليه البكري سطفسييف على جبل يسمى البغل ويصب في بركة عظيمة من عمل الأول ويسمع فيه خرير شديد على مسافة حتى يصب في نهر أسر ثم ينصب في نهر تافنا⁵، ومن الملاحظ أن هذا النهر قد اكتسب شهرة كبيرة وخاصة خلال العهد الزياني وذلك لأن تلمسان شكلت عاصمة الدولة الزيانية واستقر فيها الكثير من الناس واستغل النهر خاصة في المجال الزراعي.

• نهر سيرات:

يذكر الحميري(ت. 900هـ/1495م)، بخصوص هذا النهر أنه يقع بالقرب من قلعة هواره وهي قلعة منيعة في جبل خصيب فيه بساتين وثمار وأشجار، وتحتها فحص، طوله نحو أربعين ميلا يشقه نهر سيرات ويسقي أكثر أرضه فسمي الفحص سيرات باسم النهر، ونهر سيرات نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أرواوا⁶، حيث يجري هذا النهر في منطقة تدعى أغبال بين مدينتي تسله ووهران⁷.

1 البكري، المصدر السابق، ص77.

2 قصر تمزيدكت: هو قصر واقع في الحد بين هذا القفر وبلاد تلمسان، شيد قديما على صخرة، وكان ملوك تلمسان يجعلونه في حالة تأهب دفاعي لحراسة أماكن المرور لجنود ملك فاس، ويسيل في سفحه نهر التافنة، ومادام القصر خاضعا لحكم ملك تلمسان فإنه كان موضوع صيانة تامة، وقد سقط في أيدي الأعراب، أما الآن فإنه أصبح شبه إسطل، لايدخرون فيه سوى قمحهم وبضائع جمالهم، وقد هرب السكان من جراء تعسفاتهم ، للمزيد ينظر إلى الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص.ص11-12.

3 القلقشندي، المصدر السابق، ص151.

4 أبو الغداء، المصدر السابق، ص123.

5 البكري، المصدر السابق، ص77.

6 الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، ط01، طبع على مطابع هيدليغ، لبنان، 1975-1984م، ص523.

7 مارمول كرخال، المصدر السابق، ص325.

• **نهر يسر:**

يصب نهر يسر الكبير فينهر ملوية¹، أما مارمول فنذكره باسم واد يسر، فقال بأنه ضخم يذيع من الأطلس الكبير على حدود نوميديا ثم يسيل نحو الشمال ويصب في البحر المتوسط قرب قرية لي عبد الله في دلس².

أما المناطق الجنوبية فقد كانت قليلة الأنهار لندرة الأمطار فيها، ومن الأنهار المتواجدة هناك نذكر:

• **منطقة الأوراس:**

إن جبل أوراس هي متصل بالسوس وبهذا الجبل قام مخلد بن كيداد الزناتي ومن باغاية إلى مدينة فاس وهي مدينة على نهر وأن هذه المنطقة ضمت العديد من الأنهار وأن زيتها من أطيب الزيوت، وبين عين الكتان وأدناه نهر سهر ونهر النساء ونهر أبي الطويل وعين الغزال³، وينحدر من جبل الأوراس نهر يشق غابة بسكرة يسقي بساتينها ونخلها وطوله ستة أميال ومنه يشرب أهلها أيضا⁴.

• **منطقة الزاب:**

كانت منطقة الزاب هي كذلك غنية بالأنهار والأودية، حيث أن مدينة طبنة بناها عمر بن حفص ويشق سكك المدينة جداول الماء العذب⁵، ومن مدينة طولقة ومدينة مليلي ومدينة بنطليوس وهي بنيان الأول وشرب بسكرة من نهر يجري في جنوبها منحدر من جبل أوراس وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشون⁶.

وفي الأخير بعد محاولة نكر أهم الأنهار والأودية المتواجدة في بلاد المغرب الأوسط نستنتج أن المغرب الأوسط كان لديه ثروة مائية كبيرة موزعة بين جميع أقطاره الشمالية والداخلية والجنوبية وأن هذه الأخير كانت قليلة الأنهار وذلك نظرا لندرة الأمطار فيها، وأيضا أن هذه الثروة المائية كان لها دور كبير في تحريك الحياة الاقتصادية في البلاد خصوصا أن المنطقة تعتمد في اقتصادها على الفلاحة وتربية المواشي وكلا هذين النشاطين يحتاج بشكل أساسي لعامل المياه.

1 ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص140.

2 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص96.

3 البكري، المصدر السابق، ص50-144..

4 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص98.

5 البكري، المصدر السابق، ص51.

6 نفسه، ص51.

3. العيون والآبار:

أ. العيون:

حسب المصادر اللغوية فإن المقصود بالعين هو ينبوع الماء الذي يجري فوق الأرض حيث أنها تنتشر في المناطق الجبلية المرتفعة مستفيدة من الثلوج، ومثلها مثل الأنهار تعتمد العيون في مياهها على الأمطار وبعضها يفيض ماؤها في فصل الصيف، وهي تزيد في أواخر شهر ديسمبر¹.

ومن الجدير بالذكر أنه يستفاد من العيون أما بتغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلا عنها في الزراعة والشرب، سواء في منطقة الأنهار أو الأمطار أو الواحات، وقد كان للعيون هذه الأهمية في جبال تلمسان الشرقية في قسنطينة وسطيف وميله ومليانة، وسببها وباجة وبادس وفي جباله الغربية في تلمسان، وفي قفصه ونفطه من واحات البلاد الشرقية².

حيث أكد البكري بأن المغرب الأوسط يحتوي على العديد من العيون إذ يقول " من المغرب وبلد أدنه بلد كثير الأنهار والعيون العذبة"³.

سنحاول ذكرها من الناحية الشمالية نحو الجنوبية والتي هي كانت كالأتي:

✓ بجاية:

وهي معلقة من جبل وقد دخل في البحر ويسمى مسيون، وهي كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات وهي مشرفة، نزيهة، ومطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره نحو عشرة أميال، تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم⁴، كما توجد بين بجاية والقلعة قرية تاوريت الكبيرة تقع على نهر مالح، وشرب أهلها من عيون محتفزة ببطن واديها من جهة المشرق وهذا الوادي لا ماء فيه⁵.

1 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص 40.

2 عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط01، دار الشروق، مكتبة المهتدين الإسلامية، بيروت، القاهرة، 1982م، ص 60.

3 البكري، المصدر السابق، ص 144.

4 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 130.

5 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص، 43.

✓ تنس:

حيث أن أهل تنس تشاركوا في الأموال وتعاونوا في البنيان واتخذوا الحصن الذي بابها اليوم ولها بابان إلى القبلة وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الخوجه شرقي تخرج منه إلى عين تعرف بعين عبد السلام ثرة عذبة¹، كذلك إن أردت طريق الساحل من تنس إلى أشير زيري فمن تنس إلى بني جليداس مدينة لطيفة لمطغرة يسكنه الأندلسيون والفربون ولا يدخلها برف جاني في وقت عدرهم بها وهي بلدة طيبة بها عيون عذبة².

✓ قسنطينة:

هي مدينة أزلية كبيرة أهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحسن منها وهي على ثلاثة أنهار عظام تجري فيها السفن قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعين أشقار³، ويذكر أنها بها عيون باردة وعيون حارة " وبعيدا عن عين الماء الحار، هناك عين ماء باردة"⁴.

✓ تلمسان:

حيث أن لتلمسان عيون غزيرة وساقيات بين المدينة وعبر دروبها، كما يتواجد عدة عيون خارج أسوارها منها: عين أنزونة وعين السراق وعين الكسور وعين الفوارة وعيون أبي المهاجر دينار وعين أم يحيى وعيون لوريط وغيرها كثير من العيون الغزيرة التي ذكرها الجغرافيون في مناطق مختلفة من بلاد المغرب الأوسط⁵، ويذكر أيضا الحسن الوزان أن عيونها خارج المدينة إذ يقول لكن العيون توجد خار المدينة، بحيث أن العدو يمكنه أن يقطع الماء عنها بدون صعوبة⁶. (ينظر الملحق رقم 02)

✓ حمزة:

وتسير من حمزة إلى بلياس وهي من جبل عظيم ومن بلياس إلى مرسي الدجاج ومدينة مرسي الدجاج قد أحاط بها البحر من ثلاثة نواحي وقد ضرب بسور من الجهة الغربية إلى الجهة الشرقية ومن هناك

1 البكري، المصدر السابق، ص62.

2 نفسه، ص69.

3 نفسه، ص63.

4 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص59.

5 جيلالي هناني ونصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص336.

6 الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 20.

الفصل الأول: مصادر المياه وضوابطه الشرعية والعرفية خلال العهد الزياني

يدخل إليها وأسواقها ومسجد جامع داخل ذلك السور له باب واحد ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره وبها عيون طيبة¹، وسوق حمزة مدينة في البحر بناؤهم من الطوب وشربهم من نهر وأعين².

✓ المسيلة:

هي ذات جنات وعيون وفواكه، وغربها يقع قصر العطس حوله ماء صالح، ومدينة مثلها مثل قصر العطس بناؤها قديم تسمى مدينة الرماننة تنفجر تحتها عيون ثرة طيبة تسيل إلى المدينة، ومدينة قصر الغلوس مأوها من ماء عين جارية بها³، وهناك عين الكتان عين عذبة في مغارة عليها أربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة وشرقها وادي مغرة عليه سبع قرى منها قرية يكسم وزيتها أطيب الزيوت وبين عين الكتان وأدناه نهر سهر ونهر النساء ثلاثة أميال ونهر أبي الطويل وعين الغزال⁴.

✓ مسكيانة:

لقد احتوت عدد من العيون لفتت انتباه الرحالة والجغرافيين⁵، حيث يذكر ابن حوقل أن باغاية قبل أن يصل إلى نهر ملاق، منها إلى مسكيانة قرية عليها سور قديمة كثيرة المياه والزرع، ولها سوق ومأوها جار من عيون فيها من الحوت الكثير الرخيص⁶.

✓ باغاية:

أما باغاية فلا ريب أنها تمتعت بنصيب من المياه التي تأتيها من جبل الأوراس المشهور بغزارة مياهه، فهي تقع على مساحة حسب ما ذكره ابن حوقل وهو منها على أميال وفيه المياه الغزيرة والمراعي الكثيرة، وأن لها أنهار عامرة إلى جانب عيون ومزارع ومسارح⁷.

1 البكري، المصدر السابق، ص65.

2 المقدسي، المصدر السابق، ص 228.

3 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص44.

4 البكري، المصدر السابق، 144.

5 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص40.

6 ابن حوقل، المصدر السابق، ص84.

7 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص 41.

✓ تيهرت:

حيث ذكرها المقدسي إذ قال أن تيهرت هي اسم القصبه أي هي بلد المغرب قد أحرق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابت في البساتين و انبعث حولها الأعين وجل بها الإقليم وانتعش فيها الغريب¹، وأن بها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروب من الفواكه الحسنة².

من خلال ما سبق ذكره اتضح لدينا أن العيون شكلت موردا أساسيا للمياه في بلاد المغرب الأوسط، حيث كانت منتشرة في كل ربوعه، مثلها مثل الأنهار والأودية، وأنها هي الأخرى كانت تنقص كلما اتجهنا نحو الجنوب وذلك تبعا لندرة الأمطار فيها.

ب. الآبار:

تعتبر الآبار من مصادر المياه المعتمدة لسقاية الأراضي الزراعية وقضاء حاجيات الناس، والملاحظ بالنسبة للآبار أنها كانت تنتشر بكثرة في المناطق شحيحة المياه، في هذه الجزئية سنحاول ذكر بعض المناطق التي تنتشر بها الآبار حيث تذكر بعض المصادر أن الآبار تحفر من طرف أفراد أو جماعات واستخراج مياهها كانت تعتمد بصورة كبيرة على القوة الحيوانية، وجرت العادة أن تحفر من الأماكن العالية حتى تسقي المناطق المنخفضة وكانت أعماقها تختلف من منطقة إلى أخرى حسب نوعية الأرض³. حيث يقول فيلالي أنه يعتمد سكان شرشال على فلاحه الأرض ويكثر عندهم شجر التوت يعتمد في سقيه على ماء المطر وبعض العيون والآبار، وكذلك مدينة برشك تنعم بالمياه الجارية، والآبار العديدة، وبتنس آبار عذبة⁴.

ويذكر أيضا أنه يحيط بمدينة وهران عيون كثيرة وآبار وحمامات يسقي السكان والفلاحين من هذه العيون، ويحيط بها جداول لسقي الجنائن والحقول⁵.

1 المقدسي، المصدر السابق، ص288.

2 الحميري، المصدر السابق، ص126.

3 جيلالي هناني ونصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص337.

4 عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص145.

5 عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص149.

أما البكري فيذكر أن على ساحل تلمسان يوجد مدينة أرشقول وبها آبار عذبة لاتفور تقوم بأهلها وبمواشيهم ولها ريبض¹ من جهة القبلة، وتوجد العديد من الآبار بتلمسان التي تتزود بالمياه والعيون والأنهار من أعالي الجبال الدائرة بها².

أما بونة الحديثة فيها بئر على ضفة البحر منثورة في حجر صلد يسمى بئر النثرة منها يشرب أكثر أهلها³.

أما باغاية هي مدينة كبيرة عليها صور أزلي من حجارة، ولها ريبض عليه سور والأسواق فيه، وكانت الأسواق قديما في المدينة ونقلت منه، ولها ماء جار من واد يأتيهم من القبلة ومنه شربهم مع آبار لهم عذبة⁴.

وفي الطريق بين المسيلة وتلمسان وعلى بعد 66 كلم من تيهرت، تقع قرية نداي وبها بئران مأوها معين، وبعد حوالي 33 كلم مسيرة يوم غرب المسيلة سوق حمزة الواقعة قرب مرسى الدجاج على الطريق بين هذه الأخيرة والمسيلة، بها آبار وهي عذبة⁵.

ومدينة تهودا تعرف بمدينة السحر وهي مدينة أهلة كثيرة الثمار والنخيل وفي المدينة بئر لاتنرح أوليه وبها آبار كثيرة طيبة⁶.

وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لاتنرف وداخل المدينة جنان يدخل إليها الماء من النهر⁷.

ويذكر الحميري أن وركلان كثيرة الزرع والضرع والبساتين والمياه، والعجب أن الرجل منهم يفر البئر بأزيد من مائة دينار، فإن أراضيهم صلبة والماء بعيد يدرك على أزيد من مائة قامة⁸.

1 الريبض: تعني كلمة الريبض، الضاحية ويطلق عليها أيضا الحي، الجمع أرباض، وتوجد بضواحي مدينة تلمسان عدة أرباض، يقطنها بعض التلمسانين، الذين يشتغلون بالحقول والبساتين وبفلاحة الأرض، للمزيد ينظر عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المرجع السابق، ج01، ص155.

2 البكري، المصدر السابق، ص77.

3 نفسه، ص. ص 54-55.

4 ابن حوقل، المصدر السابق، ص84.

5 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص. ص 53-54.

6 البكري، المصدر السابق، ص. ص 72-73.

7 نفسه، ص52.

8 الحميري، المصدر السابق، ص 600.

وكخلاصة لهذا الجزء نستطيع القول أن مصادر المياه في بلاد المغرب الأوسط كانت متعددة ومتنوعة من أمطار وأنهار وأودية وعيون وآبار وأنها موزعة عبر كل مناطقه والملاحظ أيضا من خلال الدراسة أن المصادر لم تذكر الكثير من مصادر المياه في المناطق الجنوبية هذا ما يجعل الباحث يستنتج أن المناطق الجنوبية كانت تعاني من ندرة المياه وخصوصا في موسم الصيف مما يجعل هذه المناطق تعاني من الجفاف.

ثالثا: الضوابط الشرعية والعرفية التي تنظم الموارد المائية

1. تنظيم الفقه المالكي للموارد المائية:

لقد كانت قضية حيازة المياه من أهم القضايا خلال العهد الزياني، حيث ذكرت بعض النوازل الإفتاءات التي كانت من أجلها، وكيف عمل الفقه المالكي على حل مشكل تقسيم الموارد المائية، وذلك من خلال تقسيمها إلى ثلاث ملكيات: ملك خاص، ملك عام مشترك، وملك أوقاف وأحباس، سنحاول في هذا العنصر التطرق إلى هذه التقسيمات والتعرف عليها من خلال كتب النوازل:

أ. الملك الخاص للمياه:

المياه صنفان: مياه مملوكة خاصة بأرض مالكها، وقد تكون كافية له ولري أرضه، أما ما يخرج في أرض غيره فيصبح خارج عن تملكه¹.

يذكر الونشريسي (ت914هـ/1508م)، في كتابه "المعيار المغرب" أن الماء إذا كن ملكا للفرد يمكن له التصرف فيه وله أن يكرهه أيضا، وأن الفقيه السيوري سأل عن حكم من يكتري قواديس من ماء مأمونة هل يجوز تأخير التقدم؟

حيث أجاب ليس كالمضمون لأنه من ماء بعينه، ويجوز بيعه بالنقد والأجل²، وهذا دليل على أن المياه الخاصة لها أن تكرر.

أما صاحب المدونة فيحدد ملكية الماء أن يتصرف صاحبه فيه كما يشاء، إذ يجوز له أن يبيع من شرب وسقى ليوم في الشهر أو في الأسبوع مع أصله أو بدونه³، حيث أن الملكية الفردية أو الخاصة للماء تأتي عن طريق الشراء أو بالإرث حيث سأل بعض الفقهاء عن له جنة بالإرث وبالشراء وفي الجنة ساقية فأجابوا إذا ثبت ممر الماء بوجه صحيح فلصاحب أتباع⁴.

1 جيلالي هناني، الملكيات المائية ببلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال النوازل الفقهية، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان. الجزائر، مج11، ع01، 16 فيفري 2023م، ص09.

2 الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج08، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص273.

3 جيلالي هناني، الملكيات المائية، المرجع السابق، ص09.

4 الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص412.

ويذكر محمد فتحه أن حقوق الفرد على كانت تمتد أيضا إلى سواقي الماء، وإن كانت تمر على أرض الغير، فليس لأحد أن ينتفع بذلك الماء في حال وروده إلا بموافقة صاحبه ولأن يحول مالك أرض مجرى ساقية، ولا يحق لأحد الجارين الشريكين في الماء الجاري بساقية، أن يأخذ مأوه من مكان آخر يوجد إلى مكان أعلى لأن ذلك يفسد الساقية ويضر بصاحبه¹، وأنه لايجوز لصاحب الأرض أن يجعل الساقية المبنية بأرضه إلى موضع آخر من أرض حتى وإن كانت قديمة البنيان ولا يعلم من بناها إلا بإذن الذي تمر عليهم الساقية ليسقيهم وطحن أرعائهم وإن لم يكن عليهم في ذلك ضرر²، والمعلوم أن الفقهاء كانوا يتصدون لكل أنواع الضرر المؤكدة³.

ب. الملك المشترك للمياه:

لقد كان الناس يشتركون في الماء في عدة أشكال إذ حدد بعضهم هذا الماء في السيول وما يشبهها⁴، وأنه لا يستطيع لأحد أن يمنع ابن السبيل من الشرب أو أن يسقي دابته أو بعيره من الأنهار والأعين والآبار والقنوات التي هي ملك مشترك ففي ذلك مخافة عليه⁵، وتحصل الملكية المشتركة حينما يكون لجماعة أو قوم حقوق على الماء ويتقاسمونه دولا معلومة بينهم حسب حصصهم فيه، من المعلوم أن مياه الأنهار الكبرى والسيول والماء الهابط من شعراء إلى الوادي هي غير متملكة لأحد في الأصل، وأن المياه التي يتم تملكها هي غالبا مياه العيون والآبار وتستفيد منها جماعة تنتمي إلى أصل واحد أو إلى أسرة واحدة، ويحصل التملك بطول لحيازة وبمقتضى السابق إلى الاستغلال وتملك الأرض التي هي موضع الماء⁶.

ج. ملك الأحباس:

نقصد بها تلك المياه التي تخضع لنظام الحبس وهي نوعان، منها الأحباس العامة وكانت تكتري من ناظر الأحباس، من أجل انتفاع مؤقت أو دائم، كما هو الأمر في حالة الكراء بعقد الجزاء، ومنها مياه

1 محمد فتحه، النوازل الفقهية، المجتمع: أبحاث الغرب الإسلامي من القرن 06-09 هـ / 12-15م، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1999م، ص358.

2 الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص.ص 396. 397.

3 محمد فتحه، المرجع السابق، ص358.

4 الونشريسي، المصدر السابق، ج05، ص13.

5 أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979م، ص97.

6 محمد فتحه، المرجع السابق، ص 359.

الأحباس الخاصة وهي من نوع الأحباس المعقبة، حينما يقتضي نظر مالك لحق في الماء، أن يضمن لحكمه ما هذا الحق في ذريته، ويسري عليها ما هو معروف بشأن الحبس الخاص¹.

ولقد عرفت ظاهرة الأحباس أو ما تسمى بالأوقاف، انتشار واسعاً في بلاد المغرب الإسلامي قاطبة والمغرب الأوسط خاصة خلال العهد الزياني، وهو ما اعتبره ساكنة المنطقة مورداً مهماً اتخذته عامة الناس، بدرجة أكثر، تلك الطبقة من المجتمع الزياني كمصدر لا يستهان به في إنقاذ العديد من العائلات المعوزة، حيث توفرت من خلالها الرعاية الإقتصادية والاجتماعية وتحقيق مبدأ الحياة الكريمة للضعفاء، من فقراء ويتامى ومحتاجين².

ومن خلال ما سبق ذكره حول توزيع الفقه المالكي للملكيات المائية خلال العهد الزياني نستنتج أن الملكيات لم تتعدى الأوجه الثلاث الملكية الخاصة والمشاركة وملكية الأحباس، وأنه يمكن للفرد التصرف بحرية فقط في الملك الخاص به، وأن التصرف في الأملاك الأخرى يسبب الضرر له ولغيره وكل هذا استتجتها من خلال ما ورد من خلال كتب النوازل وبالأخص الجزء الثامن من كتاب المعيار.

2. تنظيم العادة والعرف للموارد المائية:

بالرغم من الدور الكبير الذي قام به المذهب المالكي في تنظيم الموارد المائية خلال العهد الزياني، نجد أيضاً أن للعادة والعرف السائد آنذاك الأثر البالغ في تنظيم الموارد المائية، لأنه إذا اعتادت الجماعة عادة صارت عرفاً لها، وما تعارف عليه الناس واعتادوا عليه في تسيير ملكية الماء وقسمته بينهم، دون أن يخالف أصلاً من أصول الشريعة³.

حيث شكل مبدأ العادة والعرف مبدأ أساسياً في تنظيم الموارد المائية، وهذا ما ورد عند الونشريسي في النازلة التي بعثها له الفقيه التلمساني أبو عبد الله محمد المغيلي، من تلمسان سنة 878هـ/1473م حول السواقي، والفقه الإباضي لا يخرج عن نفس الإطار من خلال ما أورده الفرستائي: " فإن كانت لهم قسمة وعادة قبل ذلك مضوا عليها، وأحياناً يكون مبدأ الاتفاق هو الحل الأساسي لتنظيم وتوزيع الماء بين أهل

1 محمد فتحه، المرجع السابق، ص 360.

2 جيلالي هناني، الملكيات المائية، المرجع السابق، ص 14.

3 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 145.

الفصل الأول: مصادر المياه وضوابطه الشرعية والعرفية خلال العهد الزياني

المنفعة المشتركة، غير أنه لم يحدث تحقيق هذا المبدأ يدخل طرف مهم جدا لتنظيم ذلك هو القاضي أو جماعة المسلمين بتقدير المصلحة العامة وتحقيقها¹.

وإذا كان الماء المشترك بين قوم أرادو قسمته، فإن كانت لهم قسمة وعادة قبل ذلك مضوا عليها قلت أو كثرت، وكذلك من دخل إليهم في ذلك الماء بالبيع أو غيره من العقود، ولا يصيبون غير ما سبق من قسمتهم، وإن لم تكن لهم قسمة وأرادوا ابتداء القسمة، فإن اتفقوا على معنى معلوم من الدور واقتسما عليه مضوا على قسمتهم، ولا يجدون نقضها بعد ذلك، وإن تشاحوا على القسمة ولم يتفقوا جعل لهم القاضي أو الجماعة أو من ينتهون إليه بأمورهم قدرا يقتسمون عليه على قدر ما رأوا أنه أصلح للخاص والعام، ويجبرون عليه، ولا يجدون نقض نظرهم في ذلك².

ومنه يمكن القول أن العادة والعرف شكلت المبدأ الثاني في تنظيم الموارد المائية خلال العهد الزياني ، وأن المتفق عليه من طرف الجماعة يصبح عرفا والإلتزام به واجب على ساكني البلاد.

1 سناء عطابي، استغلال المياه في المغرب الأوسط من خلال المصادر الفقهية، مغرب أوسيطات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الوسيط، إشراف : علاوة عمارة، ط01، مؤسسة حسين رأس الجبل ، الجزائر، 2013م، ص196.

2 الفرستائي محمد بن بكر، القسمة وأصول الأرضيين كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تح: بكر بن محمد بن محمد بن صالح، ط02، جمعية التراث، الجزائر، 1997م، ص.ص110-111.

الفصل الثاني:

منشآت السقاية خلال العهد الزياني

أولاً: منشآت تخزين المياه

ثانياً: وسائل توزيع المياه

ثالثاً: أدوات رفع المياه

أولاً: منشآت تخزين المياه.

1. الصهاريج:

يستعمل الصهريج لتخزين المياه وعادة ما يكون الصهريج المذكور ذا سقف عبارة عن قبوه نصف أسطوانية في شكلها العادي أو مدببة بعض الشيء ويشير ابن بصال أن مياه المطر المتجمعة في الصهاريج أفضل من الأنواع الثلاثة الأخرى وهي مياه الأنهار والينابيع والآبار¹.

أما ابن منظور (ت711هـ/1311م) فقد عرفه بأنه مصنعة يتجمع فيها الماء وأن أصله فارسي، وكذلك ذكر بأن المقصود بصهرج الحوض أي طلاه، ومصنوع من الحجر²، والصهاريج عبارة عن أحواض كبيرة للماء وكانت توضع في أماكن مرتفعة نوعاً ما حتى ينساب الماء منها إلى المساقى بسهولة، عبر قناة خارجة من إحدى جنبات الصهريج المواتية لاتجاه السقي³.

• صهريج تلمسان:

لقد أكدت المصادر أن تلمسان بها صهريج كبير⁴، يبلغ طوله مائتي وعشرين متراً وعرضه مائة وخمسين متراً في عمق ثلاثة أمتار فإنه حافظ على وجوده إلى الآن وكان إنشائه سنة 718هـ إلى 737هـ ، وقد كان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في أيام الأعياد والمواسم والاحتفالات الملكية كما هو مستعمل للسقي والري⁵.

• صهريج مدينة المنصورة:

احتوت على صهريجين الأول داخل التحصينات في الجهة الجنوبية من المدينة وبالضبط مقابل الباب الجنوبي للمدينة حيث لا يبعد عليه بمسافة كبيرة، والثاني يقع خارج التحصينات الشرقية بين تحصينين متقدمين⁶، (ينظر الملحق رقم 03).

1 باسيليو بابون مالدونارو، العمارة الأندلسية عمارة المياه، تر: علي إبراهيم منوفي، تق: محمد حمزة إسماعيل، ط1، نشر زهران الشرق، القاهرة، 2008م، ص09.

2 ابن منظور، لسان العرب، ج02، دار صادر، بيروت، (د.س.)، ص312.

3 لخضر العربي، المرجع السابق، ص140.

4 ابن الأحمر، المصدر السابق، ص26.

5 عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج02، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م، ص260.

6 محمد عطار، مشروع ترميم المنشآت المائية الأثرية بمدينة تلمسان، إشراف: سيدي محمد نقادي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص: صيانة وترميم المعالم التاريخية والمباني الأثرية، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد، الجزائر، 2015-2016، ص42.

• صهريج الكيفان:

يقع هذا الصهريج في الشمال الغربي للمدينة إذ أنه لايبعد عن الصهريج الكبير بتلمسان إلا بمسافة قليلة، وشكله رباعي غير منتظم، وهو قائم إلى حد الآن حيث يحده من الشمال كل من الحي الجامعي بختي عبد المجيد والاقامة الجامعية 19 ماي 1956، ومن الشرق الإقامة الجامعية بختي عبد المجيد كذلك، ومن الغرب مجموعة بنايات سكنية، والجنوب محلات وسكنات بنيت على أساس الصهريج (ينظر الملحق رقم 04).

• صهريج أقادير:

يقع بالجهة الشمالية الغربية للمدينة العتيقة أقادير، وبالضبط قرب ضريح سيدي الداودي¹، (ينظر الملحق رقم 05).

• صهريج قلعة بني حماد:

يبين صاحب الاستبصار بوجود صهريج عظيم بقلعة بني حماد في وسط القصر المسمى بدار البحر، تلعب فيه الزوارق، يدخله ماء كثير، مجلوب عن بعد ، وهذا القصر مشرف على نهر، ويطلق I.golvin على صهريج صاحب الاستبصار تسمية بحيرة قصر الأمراء².

• صهريج مدينة طبنة:

مدينة كبيرة سورها مبني بالطوب وبها قصر وأربض وداخل القصر جامع وصهريج كبير ينبع فيه نهرها ومنه تسقى بساتينها ويقال أن الذي بناه أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزار مرد³. وفي الأخير يمكننا القول أن الصهاريج كانت منتشرة بكثرة خلال العهد الزياني، ويتضح لنا أن الصهريج أو الحوض أو البركة هو الذي يستقبل مياه العيون أو الوديان أو السيول ويون واسعا ويبقى عاريا وهو بمثابة موزع للماء⁴.

1 محمد عطار، المرجع السابق، ص 42.

2 محمد بن عميرة، الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، إشراف: موسى لقبال، رسالة لنيل شهادة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص 270.

3 البكري، المصدر السابق، ص 50.

4 محمد عطار، المرجع السابق، ص 40.

2. المواجل:

في اللغة الماغل وجمعه المواجل، وهو حوض واسع يجمع فيه الماء، ثم يفجر إلى المزارع وغيرها، كما يعني حفر المعدة لتخزين الماء إلى زمن الحاجة، وقد كانت تقام في البيوت على شكل صهاريج أرضية لها أفواه مغطاة وتجمع فيها مياه المطر، ومنها المواجل الفلاحية هي معدة لتجميع مياه المزن وغيرها¹. ومعماريًا يسمى أيضا ماجن وهو حفر عمودي يأخذ شكل قارورة يساوي قطره في معظم الأحيان عمقه وهذا الحفر في مستوى السطح يتسع مع العمق من أجل التخلص من التسقيف، ويحيط بهذه المنشأة سطحه أو ما يسمى بالقنجورة وهي بمثابة حوض لتجميع المياه، وعندما يكون الماغل داخل المنزل أو محاذي له يكون سطح المنزل هو بمثابة حوض لتجميع المياه، ويتكون الماغل من العناصر التالية:

- ✓ القنجورة: تأخذ أشكالاً متعددة مستطيلة مربعة أو حتى بيضاوية، تتمثل وظيفتها في تجميع الماء قبل دخوله الماغل.
- ✓ الساروت أو الدخالة: هي قناة تسيير الماء من القنجورة إلى الماغل.
- ✓ النفاسة أو الخراجة: هي القناة التي تخرج منها المياه الزائدة على طاقة استيعاب الماغل².

وقد ذكرت المصدر مختلف المواجل في بلاد المغرب الأوسط خلال العد الزياني والتي بدورها متمثلة في:

• قسنطينة:

هي مدينة كبيرة عامرة قديمة أزلية، فيها أثر كثيرة لأول، وكان لها ماء مجلوب يأتيها على بعد قناطر تقرب من قناطر بقرطاجنة، وفيها مواجل عظام مثل التي بقرطاجنة³.

1 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 139.

2 محمد عطار، المرجع السابق، ص 38.

3 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 165.

• أرشقول:

ذكر ابن حوقل أرشقول أو ارجكوك هي مدينة أيضا لطيفة لها مرسى وبادية وخصب وسعة في الماشية والأموال السائمة، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه ومواجن كثيرة للمراكب وأهلها والمحتاجين إليها في سقي سوائهم¹.

• تيهرت:

لقد أشارت العديد من المصادر إلى استخدام سكان تاهرت الكثير من المواجه لتخزين الماء². ومنه يمكن القول أن المواجه لعبت دورا فعالا في عملية تخزين المياه، فكما يذكر الونشريسي أن المواجه أيضا كانت تحفر في سبيل الله، وأن عمل المواجه معروفا موصوفا³، وللاستفادة أكثر من المياه في الريف فقد أجاز مالك قسم المواجه، وقدمت جرت العادة على كراء هذا النوع من وسائل الري من قبل السكان الريفيين، وما يدل على تملك أهل الريف للمواجه أيضا هو تحبسها، وهو الأمر الذي كان يثير النزاعات بين الورثة وعامة الناس الذين حبست من أجلهم هذه المواجه⁴.

3. السدود:

ظلت الحاجة الملحة لكميات المياه التي يستعملها الإنسان في حياته اليومية، سواء للشرب أو للري أو لاستعمالات أخرى، تحتم على ساكنة بلاد المغرب الأوسط باتخاذ تدابير مختلفة للاحتفاظ بهذه المادة الحيوية، ولعل منها: بناء السدود التي كانت ضرورية، وهي عبارة عن بناء سد مجرى الأنهار والوديان لحفظ مياهها، أو تنظيم منسوبها.

في القرآن الكريم ذكر السد لقوله تعالى: { قَالُوا يَا قَرْظِينَ إِنَّ يُأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا }⁵.

1 ابن حوقل، المصدر السابق، ص 79.

2 داودي الأعرج، تطور الفلاحة في المغرب الأوسط مابين القرنين الثاني والسادس الهجريين (ق 12.08م)، إشراف: عبید وبداد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص: تاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان . الجزائر، 2017.2016م، ص 221.

3 الونشريسي، المعيار، المصدر السابق، ج 09، ص 536.

4 سكينه عميور، المرجع السابق، ص 112.

5 سورة الكهف، الآية 94، برواية ورش عن نافع.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

والسدود هي عبارة عن جدران ضخمة لحجز المياه وضبط مناسيبها بواسطة بوابات تسمح بتصريف الماء الزائد الذي يخشى منه جدار السد وأحياناً تكون السدود بدون بوابات مثل السدود الترابية¹. وتذكر المصادر أن المغرب الأوسط كان يمتلك الكثير من السدود حيث ذكر صاحب كتاب الاستبصار أن سيرات احتوت على سد الذي شيد على مشرف نهر سيرات، الذي يشق السهل ويصب في البحر².

أما تلمسان فقد كانت تحتوي على العديد من السدود منها المنتشرة بأحواز المدينة استخدمت للري الزراعي نذكر منها:

- ✓ السد الواقع في أعالي الفحول: يقوم هذا السد بسقي آلاف الهكتارات الواقعة بالجانب الأيسر لوادي يسر، ويوجد سد آخر يبعد بحوالي كيلومترات عن الأول يسقي الجانب الأيمن لوادي يسر.
- ✓ السد الواقع بالمكان المسمى قورسي ببلدية زناتة: تدل عليه بقايا جدار الطابية الذي يتراوح طوله ما بين 10 و15 متراً سمكه المترين ولا توجد به أي بقايا لقناة.
- ✓ السد المعروف باسم الرماشة ببلدية زناتة: بقايا جدار الطابية يبلغ طولها 145 متراً وسمكها المترين ويقدر ارتفاعها بـ 1.5 متر³.

أما السدود التحويل فكانت بسيطة وتقام على الأنهار والروافد ذات الجريان الموسمي بهدف تحويل جزء من مياه الوديان لسقي ضفاف هذه الأنهار والتي زرع فيها بالدرجة الأولى الحبوب، ووجد مثل هذه الأنهار في منطقة هنين البساتين الواقعة على ضفة النهر القريب من المدينة، وكذا وجد بالمتيجة سهل يبلغ طوله حوالي 45 ميلاً وعرضه 36 ميلاً حيث ينبت القمح الجيد بكثرة، كما يمر بالقرب من قصر إيسيلي جدول مائي يسقي المزروعات، إذا لاينبت أي شيء في هذه البلاد دون سقي لشدة الجفاف⁴.

وكانت السدود تتجدد بصفة دائمة، وكلما دعت الضرورة إليه، كما أن عملية تشييدها كانت تقام بطريقة جماعية، وعنها تذكر إحدى النوازل، حول جماعة كان لهم سدا فانخرق فاجتمعوا على إقامته بأن

1 محمد عطار، المرجع السابق، ص 43.

2 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 178.

3 محمد عطار، المرجع السابق، ص 44.

4 عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 10.7هـ/16.13م، إشراف: مسعود مزهودي، شعبة التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر. باتنة، الجزائر، 2013-2014م، ص 222.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

يبني كل واحد منهم مسافة، ثم تهدم ما بناه أحدهم وهذا ماكان يستوجب مضاعفة السدود وبأماكن متقاربة، حتى إذا تهدم إحداها وجدوا الآخر صالحا للاستعمال¹.

وفي الأخير وكخلاصة لهذا العنصر نستطيع القول أن منشآت تخزين المياه خلال العهد الزياني عرفت انتشارا واسعا في كل أنحاء بلاد المغرب الأوسط، وقد تعددت هذه المنشآت واختلفت من صحاريج وموآجل وسدود، ولكن كلها عملت على نفس الهدف وهي تخزين الثروة المائية وذلك من أجل توفير عنصر المياه طيلة السنة وخاصة أثناء فترات قلة التساقط.

1 جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية ، المرجع السابق، ص84.

ثانيا: وسائل توزيع المياه

1. السواقي:

وهي جمع مفرد ساقية، عبارة عن شق في الأرض ، يصل بين الأرض المزروعة ومصدر الماء سواء كان ذلك المصدر نهرا أو عيننا أو بئرا أواديا، ويراعا في بنائها درجة الانحدار وقد تكون ظاهرة على سطح الأرض، أو مخفية تحتها، وهي التي تسمى قواديس¹ وتختلف أطوال السواقي وأعماقها باختلاف الأراضي التي تمر بها وبعدها أو قربها من مصدر الماء، كما تختلف باختلاف الغرض الذي أنشأت من أجله، فهناك سواقي لري المزروعات، وهي إما أن تكون من ماء المطر أو من ماء النهر، وأخرى تعمل عليها الأرحية التي تطحن بها الحبوب، أو يعصر بها الزيتون².

وتعرف الساقية أيضا على أنها لما يبنى حاجز مضاعف من الجهتين، يسيل فيه الماء مسافة بعيدة، فإن ذلك يطلق عليه ساقية، وهي أشبه ماتكون بواد اصطناعي³.

وقد كان يتخذ في إنشائها درجة الانحدار لتسهيل سرعة المياه والتقليل من تبخرها خاصة في فصل الحرارة، ويتم استعمالها في توزيع المياه على الأراضي الزراعية، وذلك ما يفسر أن رأس الساقية موازية لخط مجرى الوادي بانحدار طفيف حتى يتمكن الماء من الجريان بشكل بطيء، دون تأثير على جنبات السواقي⁴.

ويذكر الوزان أن في مدينة تلمسان عدة ساقيات، لكن العيون توجد خارج المدينة، بحيث أن العدو يمكنه أن يقطع الماء عنها بدون صعوبة والأسوار في غاية الارتفاع والقوة، وأن هذه الساقيات كلها مبنية بأسلوب فني رائع⁵.

1 القواديس: في بعض الأحيان تعني نوع من الأوعية الفخارية، كانت تنتظم على شكل سلسلة على ظهر الناعورة فتغرف الماء من البئر أو الوادي إلى الحقل، للمزيد ينظر لخضر العربي، المرجع السابق، ص 138.

2 متعب بن حسين القتامي، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية، ع 03، جانفي 2017م، ص15.

3 محمد حسن، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى التاسع هجري، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004، ص107.

4 جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية، المرجع السابق، ص87.

5 الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص20.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

وقد ذكر النميري أن بتلمسان ساقية تدعى ساقية النصراني حيث تغنى بها لقوله " ساقية النصراني وتوضحها مناسبة بمنته كالأرقام والضلال...، دعا بالساقية فشرب من مائها العذب، وسقى أحد الخواص المستأثرين منه بالقرب، وأفاض الثناء على تلمسان وطيب هوائها"¹، (ينظر الملحق رقم 06).

وقد كان المزارعون يحفرون السواقي والقنوات لنقل المياه إلى مسافات أبعد، ويبدو أن الأنهر التي أشار إليها ابن الصغير في منزل البستان محمد بن حمادة هي عبارة عن سواقي، وقد ذكر أحد شعراء تيهرت الساقية في قصيدة جاء فيها: سقا الله تيهرت المنى وسوقية بساحتها غيث يطيب به المحل، ويبدو أن ملكية هذه السواقي كانت عامة، فإن الجوزي يشير إلى مشاجرات وقعت بين أولياء الخليفة عبيد الله المهدي الكتاميين بسبب قسمة السواقي².

وللسواقي أنظمة وأعراف تحكمها وتسيرها بطرق محكمة، إلا أنها تتعقد كلما تقلصت كمية الماء واشتدت الحاجة إليه، وعليه كانت طرق تقسيم المياه تعرف تغييرا يختلف عما جرت العادة عليه لتصل إلى النصف والربع والثلث وربما أقل من ذلك، وكل حسب قدر حظه وحسب الكمية التي تحملها الساقية، ولا بد هنا أن نشير إلى المزارع إذا أراد شق ساقية واضطرته الحاجة إلى تمريرها بأرض غير أرضه، فعليه طلب الموافقة من صاحبها ولا يمتلك الماء إلا بملك موضعه³.

وقد ذكر الونشريسي بعض النوازل حول الساقية منها: حكم من له ساقية بأرض آخر، وسئل بعض الفقهاء عن من له ساقية في أرض رجل لا يملك رقبته وإنما يملك جري الماء فيها فهل له مانبت على حافتها أم لا، فأجاب الفقهاء أنه إذا لم يملك رقبته وإنما يملك جري الماء فيها فليس له مانبت على حافتها، وهو لصاحب الأرض، وإن كان له ملك رقبة الساقية فله مانبت عليها من شجر وإن تداعيا في ذلك ولم تكن لواحد منهما بيينة فالقول قول صاحب الماء أن رقبة الساقية له وليس له أن يجعل كناساة الساقية إذا نقاها إلا على حافة الساقية فيها لا يضر من ذلك لرب الأرض⁴.

1 ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قدام الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، إغ: محمد بن شقرون، ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م، ص487.

2 عبد الكريم يوسف جودت، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية مكتبة طريق العلم، الجزائر، (د.س.)، ص62.

3 جيلالي هناني، نظام الري بالدولة الزيانية، المرجع السابق، ص90.

4 الونشريسي، المصدر السابق، ج08، ص430.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

وأیضا سئل أبو سعید بن لب عن ساقیتین ترفعان من ماء واحد إحداهما فوق الأخرى وقع فیهما كلام كثير، فأجاب الحكم في الماء الذي هو غير متملك الأصل في الأودية أن يسقي منه الأعلى فالأعلى، فبمقتضى هذا الأصل في هذه النازلة المسئول عنها أن أهل الساقية العليا يستأثرون بما تحمله ساقيتهم من ماء الوادي المباح الأصل ويتملكون ذلك القدر منه بمقتضى السبق، لأن الماء المباح يمتلك منه ما تجره السواقي العليا قبل السفلى¹.

ومنه عملية تقسيم مياه الساقية على أقساط بين المزارعين، وذلك سواء بجمعها في أحواض ثم توزع بالنوبات، أو توزع بالأيام والساعات، ويشرف على العملية أشخاص يعترف بهم الفقهاء ويسمونهم بأهل الفلاحة، أو أشياخ البصر، وأغلب هؤلاء من العوام الذين لهم دراية بشؤون الماء من حيث التوزيع ونسب الحصص².

ومن الملاحظ أن السواقي غالبا ما تكون هشة، وذلك نتيجة للمادة المستعملة في البناء ومنها التراب والجير والأغصان، هذا ما يجعلها سهلة التدمير من طرف السيول، وهي أيضا لا تشكل صعوبة عند البناء³، ويبدو أن نظام السقي قد فرض على المستفيدين في إطار الجماعة مجموعة من التدابير الاجتماعية والتضامنية، ومنها كنس الآبار وإصلاح المساقى والمصارف إذا دفنت، وتنقية السواقي والقواويس⁴.

وفي الأخير يمكن القول أن السواقي شكلت أهم المنشآت التي تعمل على توزيع المياه بين الفلاحين، وأنها خضعت في ذلك لشروط عدة تمنح لكل فلاح الأحقية في استخدامها فيما ينفعه ويزيد من إنتاجه الزراعي، مراعيًا في ذلك مبدأ دفع الضرر عن غيره.

1 محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، ط01، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1999م، ص 157.

2 علي عشي، استغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط نظرة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، الجزائر، ديسمبر 2021م.

3 جيلالي هناني، المرجع السابق، ص90.

4 لخضر العربي، المرجع السابق، ص148.

2. القنوات:

القناة بفتح القاف والنون ممدودة، والجمع أقنية وقنوات، وهي مجرى الماء تحت الأرض¹، وهي المسالك المستخدمة لتوريد المياه إلى المدن والحقل والساقيات الحمامات، وكانت في العهد الزياني تصنع من مادة الفخار على شكل أنابيب، وإن تعددت أسماؤها فهي تلتقي في الوظيفة التي هي نقل الماء². وكانت قنوات نقل الماء على نوعين: قنوات ناقلة أو ما يعرف بقنوات الحنايا وهي مرفوعة فوق قناطر، أما النوع الثاني وهو الذي كان تحت الأرض، فقد عثر على آثار قناة لنقل الماء يبلغ طولها 12 كيلومتر في نواحي بجاية³.

بالنسبة للبكري فقد أوضح أن ماء تلمسان يأتيها من عيون تسمى عيون لوريط وهي بينها وبين المدينة ستة أميال، وذلك عبر مد القنوات⁴، كذلك هذا ما أكده الونشريسي لقوله " يجلب لها الماء في قادوس كبير على نحو من أربعة أميال من البلد وذلك الماء المجلوب منتفع أهل البلد، ومنه مساجدها وساقيات وحمامات وشرب جميع أهلها"⁵.

واحتوت المدينة أيضا على قنوات من فخار مغمورة تحت الأرض على غرار تلك التي عثرنا عليها بالمنصورة تتخلل التحصين الشمالي للمدينة بالقرب من الباب الشمالي أو ما يسمى باب هنين والتي نتأسف لطمسها أثناء أعمال الترميم، وتوجد قنوات أخرى تتخلل التحصين الجنوبي لتاقرارت بالقرب من باب الحديد⁶، ويشير مارمول أن ملوك تلمسان أعطوا الأمر بعدم الكشف عن هذه القنوات خوفا من تحويلها إذا ما حوصرت المدينة⁷.

وقد كان شرب أهل الجزائر من عين كبيرة تصلهم مياهها بقنوات ممدودة تتوزع على مختلف الجهات، أيضا الفلاحون بمدينة البرج وهي مدينة غرب مدينة بسكرة يسقون حقولهم بالماء المجلوب إليها في القناة⁸.

1 محمد عمارة، المرجع السابق، ص 467.

2 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 138.

3 دوايدي الأعرج، المرجع السابق، ص 27.

4 البكري، المصدر السابق، ص 76.

5 الونشريسي، المغرب، المصدر السابق، ج 07، ص 11.

6 محمد عطار، المرجع السابق، ص 49.

7 مارمول كريحال، المصدر السابق، ص 299.

8 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 138.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

بالإضافة أيضا أن سكان الأوراس استغلوا مياه الأمطار والسيول لمبيد القنوات للري، فقد عثر بالمناطق الجنوبية لأوراس على قنوات استخدمت لنقل المياه للسقي منذ العهد الروماني، ولاشك أن استعمال القنوات في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط استمر ولا يزال إلى اليوم¹.

ومنه نستطيع القول أن القنوات شكلت أداة من الأدوات الأساسية في عملية نقل المياه من منطقة إلى أخرى في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، وأنها عرفت كلتا النوعين من القنوات المغطاة والمنفتحة، وعموما كانت القنوات تصنع من الفخار.

3. الفقارات:

يعد نظام الفقارة من أهم التقنيات المائية المستعملة في مجال الري بصحراء المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، وهي وسيلة من وسائل السقي التي يتم استغلال المياه الجوفية عن طريقها حيث كانت تتألف من آبار عديدة متصلة مع بعضها البعض².

حيث أن الفقارة هي آبار متعددة بقر من جنب كل واحد إلى آخر، والفقارة تتشكل من الآبار التي تبدأ من نقطة مرتفعة تجتمع بها المياه الجوفية، وتسير مياه هذه الآبار في مجرى أرضي ذو فوهات تتحدر ببطء إلى أن ينتهي المجرى بحوض كبير أشرنا له فيما سبق باسم الماغل أو الماجن، تخرج من أقبية تحمل المياه إلى الجنات، ويجزأ الماء إلى أجزاء كثيرة أو أنصبه بالأيام، أو يقسم باعتبار العلامات الفلكية كالقمر وحركة الظل في النهار، أو بالدقائق والساعات، أو تقسم الأنصبه على ملاك البساتين وفق آلة تعرف بالشفقة³ بعد أن تجمع المياه في موضع واحد يعرف بالقصرية ومنها عن طريق مشط التوزيع تمج المياه عبر السواقي إلى استغلالية كل مالك، وتدون الأنصبه وملاكها ونوبات سقيهم وأوقاتها في كتاب يسمى الزمام⁴.

تتميز منطقة توات دون سواها من بقية مناطق الوطن بنظام الفقارة وآلية توزيع الماء، وهو نظام قديم جدا تعددت الرويات في أصله ومصدره واتفقت على شيوعه وانتشاره في أكثر من عشرين منطقة، غير

1 وسيلة عليوش، المرجع السابق، ص 85.

2 جيلالي هناني، نظام الري، المرجع السابق، ص 91.

3 الشفقة: وهي صفيحة مصنوعة من النحاس تحوي على ثقب تسمى الحبة بسعة إصبع إبهام، وتحتوي على ثلاثة صفوف، الصف الأول فيه ثقب متساوية، والصف الثاني فيه ثقب غير متساوية، والصف الثالث فيه ثقب صغيرة غير متساوية سعتها لتتعدى أجزاء من الحبة، والجدير بالذكر أن الشفقة هي الأداة الأساسية لتقسيم الماء إلى جانب أداة القصيرة التي تكمن أهميتها في التحكم بكميات الماء المسموح بها، للمزيد ينظر دواي الأعرج، المرجع السابق، ص 223.

4 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 142-143.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

أن مايميز المنطقة التواتية في نظامها المائي هذا هو توارثه عبر الأجيال منذ عدة قرون وإلى الآن مع المحافظة على كثير من مقوماته وأسس بنائه¹، (ينظر الملحق رقم 07).

يعتبر نظام الفقارة من التقنيات المائية التي اعتمدت عليها أرياف المغرب الأوسط، وهذه التقنية وإن اقترن ذكرها بالمناطق الجنوبية، غير أن روبر برنشفيك ذكر أنه توجد في وهران تقنية من الأشغال المائية تتم في سراديب موجودة تحت الأرض لالتقاط وجلب المياه، تعرف باسم الفجارات، وتتضمن على مسافات متغيرة بعض الفتحات²، وسميت الفجارات نسبة إلى تجر الماء، وهي عبارة عن رواقات تحت الأرض لجر ماء من طبقة جوفية نحو نقاط تقع في مستوى أدنى، ومياهها تمثل أعمالا مائية عظيمة لا تقل أهمية عن الآبار الارتوازية ويختلف عدد الآبار الذي تتشكل منه الفقارة حسب طولها، إذ نجدها غير ملتزمة بمعايير ثابتة³.

لاشك أن نظام الفقارات شكل العمود الفقري لأسس الري بالواحات الصحراوية لبلاد المغرب الأوسط منذ القدم، إلا أنه ظل محل جدل بين ثلة من المؤرخين والإخباريين والجغرافيين حول أصول نشأتها، فهناك من يعتقد بأن نظام الفقارات هو نظام دخيل للمنطقة، إذ جاءت تقنيته مع الفتح الإسلامي، إلا أن الراجح في القول، هو أن لظهور هذه التقنية جذور أثرية أقدم بكثير، قد تعود إلى ما قبل الاحتلال الروماني لشمال إفريقيا⁴.

في الأخير كنهاية لهذا الجزء نستطيع القول أن المغرب الأوسط خلال حكم بني زيان عرف الكثير من وسائل توزيع المياه من سواقي وقنوات وفجارات، التي بدورها خضعت للعديد من القوانين من أجل توزيع نوبات الماء فيما بين الفلاحين وذلك من أجل تجنب أكثر قدر من المشاكل.

1 أحمد جعفري، نظام الفقارة وآلية وتوزيع الماء في منطقة توات وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الإقليم، مجلة دراسات أثرية، جامعة أدرار، الجزائر، ع01، 2007م، ص 119.

2 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص.ص 114-115.

3 جيلالي هناني، نظام الري، المرجع السابق، ص92.

4 جيلالي هناني، المرجع السابق، ص 92.

ثالثا: أدوات رفع المياه:

1. الناعورة:

مفردها ناعورة وناعور، وجمعها نواعير، وهي عبارة عن قرص ممدود متسع المحيط مخرق الوسط، وعليها الأواني الفخارية، وبدورانها تحمل المياه، ثم تلقيها من عل فتقع في الساقية فتحولها إلى المواضع المرتفعة من الأرض فتسقيها، والظاهر أنها توضع في نفس اتجاه حركة مياه الوادي أو النهر حتى تحركها شدة التيار، وتقوم طاقة الناعورة السقوية طاقة الدولاب وهي أسرع منه¹، (ينظر الملحق رقم 08). والناعورة عجلة مثبتة على قضيب يرتكز على قائمتين ويدار بواسطة الحيوانات أو تيار النهر أحيانا، وتحمل الناعورة كيزانا لرفع الماء، عددها للناعورة الكاملة ثمانون كوزا، يسع كل منها خمسة عشر رطلا، الرطل يساوي 7,65 لترا، ويمكن أن تروي الناعورة 350 - 400 جريبا من غلات الشتاء أو 80 جريبا من غلات الصيف².

اعتمد المزارعون الزبانيون النواعير، كأداة لرفع المياه من بطون الأودية والأنهر لسقي بساتينهم فاستعملوا هذه الوسيلة بصفة دائمة، وبحركية لاتكاد تتوقف لافي الليل ولا في النهار، إلا في حالات تعرضها إلى عطب ما، وعن ديمومة حركتها يصفها النميري في قوله " إن عيونها لاتشكوا شرب الماء...، ولها صوت يميز دورانها وتدور باستعمال الحيوانات"³.

وقد أكد صاحب الاستبصار أن مدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات، ولها نهر كبير يقرب منها بنحو ميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد وضعت عليه نواعير تسقى من أنهر، ولها منتزه عظيم⁴.

أما عن البكري فقد ذكر بجاية بها نواعير وذلك من خلال قوله " ماءها مجلوب يأتي من قبل الجوف لايعرف من أين منبعه يصب في البحر وعليه نواعير"⁵.

1 لخضر العربي، المرجع السابق، ص141.

2 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص63.

3 جيلالي هناني، المرجع السابق، ص96.

4 مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص130.

5 البكري، المصدر السابق، ص44.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

لاشك في أن استعمال تقنية النواعير في دفع المياه نحو الحقول لسقيها، كان منتشرًا في أغلب المناطق التي كانت تتوفر فيها الأنهار والوديان ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني¹. في الأخير يمكن القول بأن النواعير شكلت أداة من الأدوات الأساسية في عملية رفع المياه من الأنهار والأودية، وصبها في السواقي والقنوات، وذلك من أجل توزيعها على الأراضي الزراعية كلن حسب حصته من السقاية، وقد عرفت هذه الأداة انتشارًا واسعًا خلال حكم بني زيان لبلاد المغرب الأوسط.

2. السانية:

لها معنيان: الأول الغَرْب² وأداته تجره الماشية ذاهبة وراجعة، والثاني الإبل يستقى عليها الماء من الدواليب فهي أبدا تسير، والسانية في الواقع تتكون من العجلة المجهزة بالأواني الفخارية التي تغترف الماء عند إدارتها، ومن بهائم التدوير كالبقر والإبل والحمير، وبعض الأجزاء الخشبية التي تشكل محور تدوير العجلة³، (ينظر الملحق رقم 09).

والسانية في جمعها هي سواني، وهي الناقة التي يستقي عليها الماء للزرع والحيوان، واستعملت لقناة الماء الصغيرة المتفرعة عن قناة كبيرة⁴.

وقد ورد ذكر السواني في النوازل، كوسيلة لاستغلال المياه سواء للشرب أو الوضوء... إلخ وقد سئل ابن رشد عن جواز الوضوء بماء السواني التي فيها طعم نشارة الأرز، كما انتشرت السواني على أطراف البساتين التي كانت تتغذى من مياه الأنهار والأودية، وقد شاع حفر السواني والقنوات لنقل المياه إلى المسافات البعيدة، وتوصيل المياه إلى القرى في قنوات خاصة⁵.

وفي نفس السياق ذكر ابن حوقل أن من تنس إلى بني وارين مرحلة لطيفة بين جبال عظام شواهق وسوامق، وبنو وارين قرية أزلية لها كروم وسواني كثيرة وهي على نهر شلف، ومنها إلى الخضراء مدينة

1 جيلالي هناني، نظام الري، المرجع السابق، ص 96.

2 الغَرْب: تعني الدلو العظيمة، وهي جزء من آلة تنصب على البئر لرفع الماء، تتكون من ثلاثة أعمدة تشكل شبه مستطيل يثبت جيدا على حافة البئر، ويتوسط ضلعه العلوي بكرة، بها الحبل قد ثبت به الغَرْب، وتجرب الإبل الحبل حتى يرفع الماء من البئر للسقي أو الشرب، وهذه التقنية كانت قديما ولا زالت إلى يومنا هذا في بعض القصور بالجنوب الجزائري، للمزيد عن هذه الأداة ينظر لخضر العربي، المرجع السابق، الحاشية رقم 03، ص 141.

3 لخضر العربي، المرجع السابق، ص 141.

4 محمد عمارة، المرجع السابق، ص 277.

5 سكيبة عميور، المرجع السابق، ص 114.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

على نهر ولها فواكه وسواني، ومنها إلى مليانة مدينة أزيليه ولها أرحية على نهرها وسقي كثير من وادها، ولها حظ من نهر شلف مرحلة، ومنها إلى سوق كران وهو حصن أزلي له مزارع وسوان¹.

وممن ذكروا السانية أيضا ببلاد المغرب الأوسط نجد الونشريسي يذكرها عندما سئل عن له جنات منها ما يعمل بالسانية، ومنها ما يعمل بالماء الكثير أو الصغير، ولهما رجال يعملون بإجازات مختلفة فالذي يعمل في السانية له بالخمسة، والآخر بالعشر، فهل تجوز هذه الإجازة؟ فكان الجواب عن ذلك بعدم جوازها².

غالبا ما يتم الخلط بين الناعورة والسانية، رغم أن هناك اختلاف في طرق عملهما فالناعورة هي عجلة كبيرة تتواجد على ضفاف الأنهار، وتدار بقوة التيار المائي، في حين أن السانية، هي ذلك الدولاب المثبت على البئر ويعتمد على الدواب في تدويره، ومهما ظل الاختلاف، إلا أن كلتا التقنيتين، كان لهما الأثر الكبير في مجال السقي، والتزود بالماء العذب³.

و في ما يمكن قوله عن السانية، هي أيضا شكلت أداة أساسية من أدوات رفع المياه من الآبار أجل سقاية الأراضي الزراعية سد الحاجيات الأخرى المتطلبة للمياه في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

3. الدواليب:

الدولاب هو عجلة أصغر من الناعورة، تعمل بحيوان واحد، ويمكن أن تروي سبعين جريبا من الغلات الشتوية أو ثلاثين جريبا من الغلات الصيفية⁴. حيث يتألف الدولاب من بكرة تربط حولها مجموعة من الدلاء أو القواديس من الأعلى والأسفل بواسطة الحبال، ومن المعلوم أن هذه الأداة كانت كثيرة الاستعمال بالأراضي الزراعية الأندلسية وتعمل الحيوانات المستعملة في إدارتها بطريقة دائرية، وبصفة مستمرة وآلية⁵.

1 ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

2 جيلالي هناني، نظام الري، المرجع السابق، ص 94.

3 نفسه، ص 95.

4 عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص 63.

5 جيلالي هناني، المرجع السابق، ص 97.

الفصل الثاني: منشآت السقاية في العهد الزياني

لاشك أن عملية انتشار الدواليب بمختلف الأراضي الزيانية، كان لها الدور الكبير في انتشار المساحات الزراعية المسقية وتنوع منتوجاتها، وذلك ما جعلها قبلة للرحالة والجغرافيين الذين أشادوا بخيراتها وفيافيها.¹

ويذكر البكري أن يصب الماء عند المهديّة في صهريج داخلها عند جامعها ويرفع من الصهريج إلى القصر بالدواليب وكذلك يستقي أيضا بقرب مناش من الآبار بالدواليب.²

وفي الأخير يمكن القول بأن الدواليب شكل تقنية أساسية في رفع المياه خلال العهد الزياني، أما بالنسبة لهذا الفصل فقد تطرنا فيه للمنشآت المائية المستخدمة خلال العهد الزياني من تخزين وتوزيع ورفع المياه ذاكرين تعريف كل تقنيته واصفين شكلها وطرق استعمالها وأكثر المناطق التي تتواجد فيها ومثال ذلك الفقارات التي كانت تتواجد في المناطق قليلة التساقط كمنطقة توات، وهذا دليل على أن ساكني بلاد المغرب الأوسط لم تقف ندرة المياه وفترات الجفاف عائقا أمام تطوير هذه المنشآت من أجل سد حاجيات الناس.

1 جيلالي هناني، المرجع السابق، ص.97 . 98.

2 البكري، المصدر السابق، ص 30.

الخاتمة

- وفي الأخير وختاما لكل ما سبق ذكره حول دراستنا لموضوع تقنيات الري خلال العهد الزياني استطعنا الوصول إلى مجموعة من النقاط التي تمثلت في:
- ✓ أن الدولة الزيانية قد شملت كل ربوع المغرب الأوسط، وذلك في أقصى اتساع لها لأنها كانت تمتد وتتقلص خاضعة بذلك لظروف القوة والضعف التي كانت تمر بها، والاضغوطات التي كانت تمر عليها خصوصا من الجهة الغربية بسبب الضغط المريني.
 - ✓ بالرغم من الضغوطات التي تعرضت لها الدولة الزيانية، إلا أنها استطاعت التعمير في بلاد المغرب الأوسط مدة أربعة قرون متتالية، وعرفت أزهي عصورها وبلغت أوج ازدهارها خاصة خلال حكم السلطان أبو حمو موسى الأول حيث سميت مرحلة حكمه مرحلة التطور.
 - ✓ من خلال المصادر والمراجع اتضح لنا أن الري هو عمليه إستغلال المياه استغلالاً اصطناعيا، ومنه عرفت تقنيات الري تطورا بالغا وأهمية واسعة خلال العهد الزياني وذلك نظرا لأنه عامل أساسي يحتاجه الفرد لقضاء مختلف حاجاته.
 - ✓ أن بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني حظيت بثروة مائية كبيرة مختلفة المصادر من أمطار وأنهار وعيون وأبار، حيث كانت موزعة عبر كل التراب بدرجات متفاوتة، بحيث أن المناطق الشمالية كانت لها النصيب الأوفر من هذه الثروة، وذلك لكثرة التساقط بها، على عكس المناطق الجنوبية التي كانت قليلة ونظرا لتوالي فترات الجفاف ومواسم القحط بها.
 - ✓ كذلك نجد أن هذه الثروة المائية خلال العهد الزياني قد خضعت لضوابط شرعية وعرفية، عملت على تقسيمها بين الفلاحين بطريقة عادلة حيث قسم الفقهاء المالكية إلى ثلاثة أمالك (ملك خاص، ملك عام، ملك أحباس)، أمام أصحاب العادة والعرف فقد حرصوا على تطبيق مبدأ كفي أو رفع الأذى أي أنه عندما تكون السقاية فيها ضرر على الآخر فهي تتوقف، لأن كل ما اعتادته الجماعة أصبح عرفا معمولاً به ومنه يجب الخضوع له.
 - ✓ كما أيضا المتوصل إليه أن الفلاحين خلال العهد الزياني حاولوا استخدام أهم التقنيات لسقي أراضيهم عاملين في ذلك على تطويرها من أجل التخلص من مشكلة ندرة المياه حتى أثناء فترات الجفاف.
 - ✓ انتشار المنشآت المائية خلال العهد الزياني من أدوات تخزين ورفع وجمع.

- ✓ أن هذه المنشآت كانت هي الأخرى تخضع إلى خصوصية كل منطقة، فالمعروف أن المناطق الجنوبية قليلة الأمطار عرفت بكثرة نظام الفقارة خاصة في منطقة توات.
- ✓ لكن المتعارف عليه أيضا بالرغم من كل هذه المجهودات التي بُذلت من أجل التخلص من مشكلة توزيع الثروة المائية، إلا أنها نشبت بعض النزاعات الأخرى بين الفلاحين حول نوبات السقاية مثل النزاع بين الأعالي والأسافل.

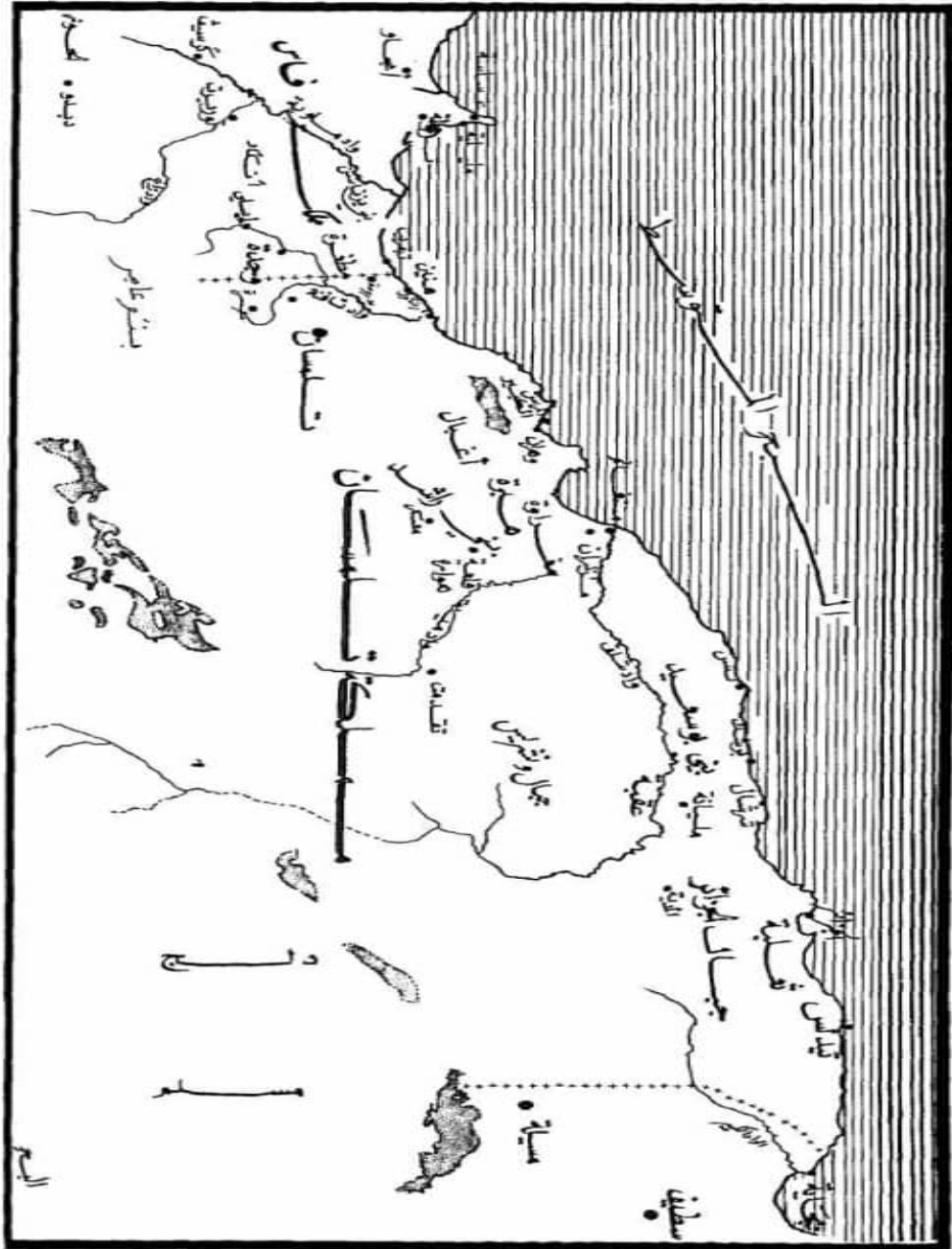
وفي نهاية هذا العمل يتوجب علينا دعوة كل باحث في التاريخ الوسيط إلى التوجه إلى دراسة الجانب الإقتصادي، وخصوصا كل مايتعلق بالثروة المائية فهي من أهم الدراسات، ونخص بالذكر بلاد المغرب الأوسط، كذلك محاولة التنقيب أكثر حول أبرز أسباب النزاعات التي كانت من أجل النوبات المائية، وكيف تم التعامل معها من قبل السلطة الشرعية والعرفية وحتى السياسية.

والحمد لله حمدا كثيرا، نأمل أن نكون قد وفقا في هذا العمل، وافدنا حول تقنيات الري خلال العهد الزياني ولو بجزء، حيث حاولنا التعريف بما تركه لنا أسلافنا من تاريخ مجيد خلال هذه الفترة.

وختاماً لهذا يمكننا القول أن كل ما توصلنا إليه كان من توفيق الله سبحانه وتعالى، وكل ما كان من أخطاء وتقصير فهو منا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الملاحق

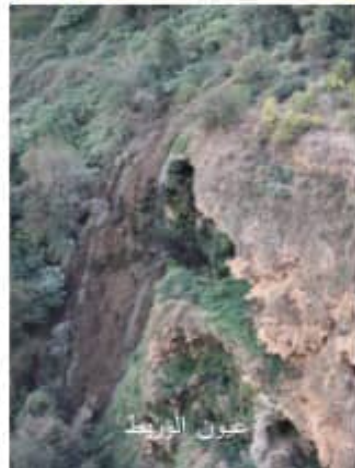
ملحق رقم 01: خريطة بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني¹.



مملكة تلمسان

¹ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج02، ص 06.

ملحق رقم 02: بعض العيون بتلمسان (عيون لوريطة، عين الدباغ أقادير¹).



¹ محمد عطار، المرجع السابق، ص 202.

الملحق رقم 03: الصهريج الجنوبي لمدينة المنصورة¹.



¹ محمد عطار، المرجع السابق، ص 208.

المحلقة رقم 04: صهريج الكيفان¹.



¹ محمد عطار، المرجع السابق، ص 206.

الملحق رقم 05: صهريج أقادير¹.



¹ محمد عطار، المرجع السابق، ص 207.

الملحق رقم 06: ساقية النصراني¹.



¹ محمد عطار، المرجع السابق، ص 210.

الملحق رقم 07: شكل الفقارات والسواقي بمنطقة توات¹.



¹ لخضر العربي، المرجع السابق، ص 311.

الملحق رقم 08: شكل الناعورة¹.



¹ لخضر العربي، المرجع السابق، ص 310.

الملحق رقم 09: صورة حقيقية لآلة السانية¹.



¹ لخضر العريبي، المرجع السابق، ص 309.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر

1. ابن الأحمر إسماعيل بن يوسف (ت. 807هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزيانية، تح: هاني سلامة، ط01، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، 2001م.
2. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت. 560هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج01، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.
3. البكري أبو عبيد الله بن العزيز القرطبي (ت. 487هـ/1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد، (د. س).
4. التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت. 899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمد آغا أبو عياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011م.
5. الحموي ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله (ت. 626هـ/1228م)، معجم البلدان، ج02، دار صادر، بيروت، 1977م.
6. الحميري محمد بن عبد المنعم (ت. 727هـ/1326م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط01، طبع في مطابع هيدليغ، لبنان، 1975-1984م.
7. ابن حوقل أبو القاسم علي النصيبي (ت. 367هـ/977م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992م.
8. ابن خلدون عبد الرحمان (ت. 808هـ/1406م)، ديوان العبر والمبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحاذة، ج06، ط02، دار الفكر، بيروت، 1988م.
9. الذهبي شمس الدين (ت. 748هـ/1348م)، سير أعلام النبلاء، تح: بشار عواد معروف، ج02، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

10. ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى (ت. 685هـ / 1286م)، كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط01، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.
11. أبو العباس أحمد الونشريسي (ت. 914هـ / 1508م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تح: جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، ج05-08-09، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
12. ابن العوام الأشبيلي أبو زكرياء يحيى بن محمد بن أحمد (ت. 580هـ / 1185م)، الفلاحة الأندلسية، تح: أنو أبو القاسم سويلم وآخرون، ج01، منشورات مجمع اللغة العربية، الأردن، 2012م.
13. الفرستائي أبو العباس أحمد النفوسي (ت. 450هـ / 1110م)، القسمة وأصول الأرضيين كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تح: بكر بن محمد بن صالح، ط02، جمعية التراث، الجزائر، 1997م.
14. الفيروز آبادي (ت. 817هـ / 1414م)، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي زكرياء جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، 2008م.
15. القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزازي (ت. 821هـ / 1486م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج05، طبع في المطبعة الأميرية، القاهرة، 2015م.
16. مارمول كاربخال (ت. 977هـ / 1570م)، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج02، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الإسكندرية، 1988-1989م.
17. المقدسي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي (ت. 380هـ / 990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط03، مكتبة مديولي، القاهرة، 1991م.
18. المكناسي ابن القاضي (ت. 960هـ / 1553م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى "درة الحجال في أسماء الرجال"، تح: محمد الأحمدى أبو النور، ج02، ط01، مطبعة السنة المحمدية، (د. ب)، 1971.
19. ابن منظور أبو عبد الله محمد الإفريقي المصري (ت. 711هـ / 1311م)، لسان العرب، ج02، دار صادر، بيروت، (د. س).

20. مجهول عاش في القرن 06 هجري، الاستبصار في عجاب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، المغرب، 1945م.
21. مجهول، زهرة البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، ج02، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
22. النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعدية إلى قسنطينة والزاب، إع: محمد بن شقرون، ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990م.
23. الوزان حسن بن محمد الفاسي (كان حيا 957هـ/1550م)، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج01-02، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1982م.

ثانيا: الكتب العربية والمعربة:

1. بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية أدوارها مواطنها وأعيانها، ج01، ط04، (د. ب)، 2010م.
2. حجي محمد، نظرات في النوازل الفقهية، ط01، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، 1999م.
3. حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال السياسية، ج01، منشورات الحضارة، الجزائر، 2008م.
4. حسن محمد، الجغرافية التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى التاسع هجري، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط01، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004م.
5. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ديوان المطبوعات الجامعية مكتبة طريق العلم، الجزائر، (د. س).
6. جيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج02، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965م.
7. زوكة خميس، جغرافية المياه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998م.
8. عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط01، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1993م.

9. فتحه محمد، المجتمع أبحاث الغرب الإسلامي من القرن 06-09هـ / 12-15م، منشورات كلية العلوم الإنسانية، الدار البيضاء، المغرب، 1999م.
10. فيلالي عبد العزيز، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.
11. —، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية وثقافية، ج01، دار موفم للنشر، الجزائر، 2002م.
12. مالدونارو بابسيلو بابون، العمارة الإسلامية عمارة المياه، تر: محمد حمزة إسماعيل، ط01، نشر زهراء الشرق، القاهرة، 2008م.
13. موسى عز الدين أحمد، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ط01، دار الشروق، مكتبة المهتدين الإسلامية، بيروت، القاهرة، 1982م.

ثالثا: الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. الأعرج داودي، تطور الفلاحة في المغرب الأوسط مابين القرنين (02-06هـ / 08-12م)، إشراف: بداود عبيد، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، 2016/2017.
2. بكاي عبد الملك، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن(07-10هـ / 13-16م)، إشراف: مزهودي مسعود، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر- باتنة -، الجزائر، 2013/2014.
3. تواتي حسين، الوظائف السلطانية في الدولة الزيانية الكتابة أنموذجا (633-791هـ / 12376-1389م)، إشراف: بداودية مبخوت، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الحضاري للمغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر - تلمسان -، الجزائر، 2014.

4. بن عميرة محمد، الموارد وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين، إشراف: لقبال موسى، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004 / 2005.
5. العربي لخضر، واقع الفلاحة في المغرب الأوسط على العهد الزياني (633-962هـ/ 12345-1554م)، إشراف: بن معمر محمد، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة أحمد بن بله - وهران -، الجزائر، 2017 / 2018.
6. عطار محمد، مشروع ترميم المنشآت المائية الأثرية بمدينة تلمسان، إشراف: الهادي سيدي محمد، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص وترميم المعالم التاريخية والمباني الأثرية، قسم علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، 2015/2016.
7. عليوش وسيلة، الثروة المائية بريف المغرب الأوسط خريطتها، منشآتها، استغلالها من القرن الأول إلى السادس هجري، إشراف: بحاز إبراهيم، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة -02-، الجزائر، 2012 / 2013.
8. عميور سكيمة، ريف المغرب الأوسط من القرن (05-06هـ / 11-12م) دراسة اقتصادية واجتماعية، إشراف: بحاز بكير إبراهيم، رسالة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ الريف والبادية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة - 02-، الجزائر، 2012 / 2013.
9. هناني جيلالي، نظام الري بالدولة الزيانية من القرن (07-10هـ / 13-16م)، إشراف: بن داود نصر الدين، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص تاريخ وسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، 2020/2021.

رابعاً: المقالات والدوريات:

أ. المقالات:

1. بلحاج ميلود، الحياة السياسية بمنطقة توات خلال العصر الوسيط، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، الجزائر، ع05، ديسمبر 2018م.

2. بن عميرة لطيفة بشاري ، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 7- 10هـ / 13- 16م، مجلة أفكار وآفاق، جامعة الجزائر-02، الجزائر، ع 03، 2012م.
3. بوكرديمي نعيمة، مدينة أشير من خلال الكتابات التاريخية والمصادر الجغرافية في العصر الوسيط، مجلة الإحياء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف -، الجزائر، مج: 22، ع:31، جوان 2022م.
4. حاج سليم سعيد و بن موسى محمد، مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين بالمغرب الأوسط (02-06هـ / 08-12م)، مجلة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي وجامعة البليدة، الجزائر، مج03، ع01، 2019م.
5. حصباية محمد، المغرب الأوسط المجال والإنسان والاندماج، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة محمد بوضياف - المسيلة -، الجزائر، مج03، ع01، 2022م.
6. حموم خالد، الفتح الإسلامي لمدينة باغاية وضواحيها، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة لمين دباغين - سطيف -، الجزائر، مج03، ع02، ديسمبر 2019م.
7. جعفري أحمد، نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الإقليم، مجلة الدراسات الأثرية، جامعة أدرار، الجزائر، ع 01، 2007م.
8. شاهين كامل فاتن، دولة بنو عبد الواد (بنو زيان) دراسة تاريخية، مجلة الباحث، مديرية تربية كربلاء المقدسة، مج 42، ع03، 2023م.
9. عشي علي، استغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط نظرة تاريخية أنثروبولوجية، مجلة العلوم الإنسانية، باتنة، الجزائر، ديسمبر 2021م.
10. القثامي متعب بن حسين، أضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ع03، جانفي 2017م.
11. لاغة عمارية، علاقة الشريف التلمساني بتلمسان أبو حمو موسى الثاني - أنموذجا -، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، مج04، ع12، ديسمبر 2017م.

12. هناني جيلالي، الملكيات المائية ببلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال النوازل الفقهية، مجلة قرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان -، الجزائر، مج11، ع01، فيفري 2023م.

13. هناني جيلالي وبن داود نصر الدين، تنظيم الري واستغلال المياه ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (10-07هـ / 13-16م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، مج12، ع02، ديسمبر 2022م.

ب. الدوريات:

1. عطابي سناء، استغلال المياه في المغرب الأوسط من خلال المصادر الفقهية، مغرب أوسيطات دراسات في تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، إشراف: عمارة علاوة، ط01، مؤسسة حسين رأس الجبل، الجزائر، 2013م.

فهارس عامة

فهرس الأعلام

الصفحة	الاسم	الرقم
20	أبو تاشفين الأول	01
21	أبو تاشفين الثاني	02
22	الحسن بن عبد الله	03
21	أبو حمو موسى الأول	04
22	أبو حمو موسى الثاني	05
19	أبو زكرياء بن عبد الواحد	06
21	أبو زيان محمد	07
21، 20	أبا سعيد عثمان	08
19	السعيد المأمون	09
20، 19، 18	ياغمراسن بن زيان	10
21	أبو يعقوب المريني	11

فهرس الأنهار و العيون

أولاً: فهرس الأنهار:

الصفحة	النهر
32	أنهار منطقة الأوراس
28 ، 29	نهر بجاية
28	نهر بونة
31	نهر تافنة
29، 30	نهر تبسة، تنس
31	نهر تلمسان
32	أنهار منطقة الزاب
30	نهر سهر
30، 31	نهر سيرات
30	نهر قسنطينة
30، 31	نهر مينة
32	نهر يسر

ثانيا: فهرس العيون:

الصفحة	العين
35	عين أبي الطويل
34	عين أبي المهاجر دينار
34	عين أم يحيى
34	عيون أشقار
34	عين أنزونة
36	عين باغاية
34	عين بجاية
34	عيون تلمسان
34	عيون تنس
36	عين تيهرت
35	عين حمزة
34	عين السراق
34	عين عبد السلام
35	عين الغزال
34	عين الفوارة
34	عيون قسنطينة
35	عين الكتان
34	عين الكسور
35	عين مسكيانة
35	عيون المسيلة
35	عيون لوريط

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

	الشكر والتقدير
	الإهداء
	قائمة المختصرات
أ - و	مقدمة
22 - 12	مدخل تمهيدي: نظرة عامة حول الدولة الزيانية
16 - 13	أولاً: الإطار الجغرافي
22 - 17	ثانياً: الإطار التاريخي
42 - 23	الفصل الأول: مصادر المياه وضوابطه الشرعية والعرفية خلال العهد الزياني
25 - 24	أولاً: ماهية الري
25 - 24	تعريف الري
25	أهمية الري
38 - 26	ثانياً: مصادر المياه خلال العهد الزياني
27 - 26	الأمطار
33 - 27	الأنهار والأودية
38 - 33	العيون والآبار
42 - 39	ثالثاً: الضوابط الشرعية والعرفية التي تنظم الثروة المائية خلال العهد الزياني
41 - 39	تنظيم الفقه المالكي للموارد المائية
42 - 41	تنظيم العادة والعرف للموارد المائية
60 - 44	الفصل الثاني: منشآت السقاية خلال العهد الزياني
50 - 45	أولاً: منشآت تخزين المياه
47 - 45	الصهاريج
48 - 47	الموادل
50 - 48	السدود
56 - 51	ثانياً: وسائل توزيع المياه
54 - 51	السواقي
55 - 54	القنوات

56 - 55	الفقارات
60 - 57	ثالثًا: أدوات رفع المياه
58 - 57	النواعير
59 - 58	السواني
60 - 59	الدواليب
62 - 61	الخاتمة
72 - 63	الملاحق
80 - 73	قائمة المصادر والمراجع
84 - 81	فهارس عامة
82	فهرس الأعلام
84 - 83	فهرس الأنهار والعيون
87 - 85	فهرس الموضوعات
88	ملخص الدراسة باللغتين (العربية والإنجليزية)

ملخص الدراسة

تعتبر الدراسات المرتبطة بالمياه وتأثيرها على الجانب الاقتصادي من أهم الدراسات، حيث ترتبط دراسات بتقنيات الري المعتمدة خلال العهد الزياني (633-962هـ / 1235 - 1554م)، حيث تطرقت في البداية بتحديد المجال الجغرافي للدولة الزيانية، والذي امتد إلى جميع بلاد المغرب الأوسط مبينة المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الدولة، وبعدها ذكرت أهم مصادر المياه في بلاد المغرب الأوسط، وكيف تم التعامل معها وتقسيمها بين السكان اعتمادا على ضوابط شرعية وعرفية لتوزيع هذه الموارد مع تبيين أهم المنشآت المائية المعتمدة، والتي تمثلت في مختلف وسائل التخزين والتوزيع والرفع، مع توضيح كل منطقة ووسائلها، وكيف عمل المزارعون على تطوير التقنيات من أجل الحفاظ على توفير عنصر المياه، حتى في فترات الجفاف وقلة التساقط.

Study summary

Studies related to water and their economic impacts are among the most important. Our study focuses on irrigation techniques used during the Zayyanid period (633-962 AH / 1235-1554 Ad), Initially it defines the geographic scope of the Zayyanid state, which extended throughout the Central Maghreb, and outlines the historical stages of this state. It then identifies the main water sources in the Central Maghreb and how they were managed and distributed among the population based on legal and customary regulations. Additionally, it highlights the key water infrastructures, including various storage, distribution, and lifting methods, specifying each region and its techniques. Furthermore, it explains how farmers developed techniques to ensure the availability of water even during periods of drought and low rainfall.

تصريح شرفي بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث:

أنا المضي أسفله،

-الطالب (ة):...مساعد...ثرو...نا.....الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 1...17...17...0355...هـ

والصادرة بتاريخ...18...15/...18...18...هـ عن دائرة...أ.و.د...جلال...بستارة -

- الطالب (ة):...../.....الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم...../.....

والصادرة بتاريخ...../.....عن دائرة...../.....

للمحل (ين) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية: قسم: العلوم الإنسانية. الشعبة: التاريخ.

التخصص:.....تاريخ...القريب...الإسلامي...في...العصر...الوسيط.

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث (مذكرة ماستر ، الموسومة ب:..


.....تشفنياسة...الري...خلال...السهد...الزيباني...هـ

.....(.....633...6...9...1...35...1...1554...م)

أصرح بشرفي (نا) أنني (نا) التزمت (نا) بمراعاة للعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة
الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه

التاريخ: 106/03/2024

توقيع للمعني (ة):





بسكرة في: 2024/06/03

اسم ولقب الأستاذ المشرف: مبروك بن مسعود
الرتبة: أستاذ محاضر (أ)
المؤسسة الأصلية: جامعة محمد خيضر-بسكرة.

الموضوع: الإذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ: مبروك بن مسعود وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر

للطالبة: سعاد شرون

في تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

والموسومة: ب: تقنيات الري خلال العيد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها.

إمضاء المشرف